بنت الباشـــــــا

أسامة علي الصادق

بنت الباشا .. رواية

تأليف : أسامة علي الصادق

.....

الطبعة الأولى : ديسمبر ٢٠١٠

الطبعة الثانية : يولـــيو ٢٠١٦

الناشر/ المؤلف

م: ٠١٢٢٧٩٧٠٠٣٢

تصميم الغـــلاف:

مهندسه ريهام ســـهيل

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

oelsadek@gmail.com

بنت الباشـا

(روايـة)

تأليف

أسامة على الصادق

الفيـوم

وقعت أحداث تلك الرواية في مديرية الفيوم والتى تقع فى الجنوب الغربي لمديرية الجيزة ولا تطل على نهر النيل مباشرة وَيمد لها شريان الحياة بحر يوسف المتفرع من نهر النيل، الفيوم من مديريات القطر المصري خلال تلك الحقبة الزمنية من بدايات القرن العشرين وفى تلك الفترة كان الاستعمار الإنجليزي يحتل أرض مصر والشعب المصري مازال ثائراً هادراً منذ الثورة العرابية بقيادة الزعيم الوطني أحمد عرابي وصولا إلى مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول.

***

الصبى "مصطفى ربيع" من مديرية الشرقية وبالتحديد مدينة أبو كبير والذى درس بالمدرسة الثانوية ثم تلاها بمدرسة الزراعة العليا "كلية الزراعة" والذى عاصر وسمع وشاهد الكثير من تجاوزات الاحتلال الأجنبي، ورغم أن والده من كبار تجار القطن وميسور الحال إلا أن مصطفي كان وطنياً لا ينظر إلى ما يمتلكه الأب حيث كان راغباً بأن يُصبح مثل سعد باشا زغلول أو طلعت حرب باشا مؤسس الاقتصاد المصرى الحديث فى صوره المتعددة سواء بنك مصر أو شركاته التى تعدت

الخمس عشرة شركة مازالت تخدم الاقتصاد الوطني حتى الآن.

تخرج مصطفي من مدرسة الزراعة العليا عام ١٩٤٢ وعمل فور تخرجه بأحد "الوصايا" أو ما نطلق عنه الوسية والتى تُعنى العزبة الكبيرة وكان يمتلكها أحد باشاوات مصر ويدعى عبدالغفار باشا النحلاوى الذي كان نائباً بمجلس النواب المصري وهو رجل مهذب يحمل فى طياته حُسن الخلق وكريم الخصال ولم يكن يقسو على العاملين عنده سواء بما يتملكه من أطيان زراعية وعقارات أو بصفته عضواً بمجلس النواب.

أحد الأيام تقدم الشاب مصطفى ربيع إلى الوظيفة التى أعلن عنها ناظر عزبة النحلاوى بإحدى الصحف اليومية، وحين تقدم مصطفى لتلك الوظيفة رفض طلبه ناظر العزبة.

***

كان للحظ نصيب مع هذا الشاب، حيث حضر النحلاوى باشا إلى مكتب ناظر العزبة أحد الأيام طالبا منه البحث عن شاب يعمل لديهم على أن يكون من أبناء مديرية الشرقية لأن أحد الباشاوات الشراقوة عاتبه فى اجتماع المجلس بأنه قد نمى إلى علمه كرهه لأبناء الشرقية ولا يعلم السبب فى ذلك؟

عرض عليه بيومي أفندي ناظر العزبة الطلب الذي تقدم

به الشاب مصطفى ربيع منذ أيام قليلة للعمل كمهندس زراعي مبتدئ وأنه رفض تعيينه نظراً لبعد المسافة بين العزبة بالفيوم وبين محل إقامته بالشرقية، إبتسم الباشا وأمر بتعيينه بأجر مرتفع كى يكسب ثقة صديقه الشرقاوي باشا.

عُين الشاب مصطفى بمكافأة بلغت ضعف ما يتقاضاه أقرانه وزادعلى ذلك أن زوده الباشا بسكن خاص عبارة عن منزل صغير تحيط به حديقة فاكهة مثمرة حتى إذا حضر صديقه الشرقاوى باشا أظهر له مدى حبه لأبناء الشرقية.

بعد عدة أشهر من بدء عمل المهندس الشاب استضاف عبدالغفار باشا صديقه الشرقاوي وأثناء سيرهما بين الحقول بالعزبة عرجا على منزل المهندس مصطفى حيث أعجب الشرقاوى باشا بالمنزل والحالة التى عليها فسأل الشاب من أى مديرية بمصر فأخبره بأنه من مديرية الشرقية، فى تلك اللحظة هتف الشرقاوى باشا مهللاً واعتذر لصديقه النحلاوى عما راوده من ضيق لاتهامه بعدم الاهتمام بأبناء الشرقية!

مضت الأيام والشاب يعمل بهمة ونشاط فى تلك العزبة مما أثمر بعد عدة أعوام عن زيادة فى إنتاجها وأسعد هذا النحلاوى باشا فغمره بعطفه وحبه ورفع راتبه وعين له إحدى الخادمات

لتقوم على مصالحه.

من المعلوم أن شهر مايو فى ريف مصر يعتبر أحد الشهور التى تسبب ازعاجا لإ رتفاع رطوبة الجو حيث يقبل فصل الصيف، أحس الشاب بإرهاق فجلس تحت ظلال احدى أشجار التوت يلتقط أنفاسه مبتعداً عن حرارة الشمس نظراً لأن وقت الظهيرة والشمس عمودية ولهذا منح العاملين فى الحقل راحة ساعتين كى لا يصيبهم الضرر من شدة الحرارة.

ظل خالداً فى راحته هذه ومازال قابعاً في ظلال الشجرة، هبت عليه نسمات رطبة لطفت من حرارة جسده الهزيل فأخذته سنة من النوم ومازال جالساً يستريح متكئا على جذعها، لم يدر كم من الوقت الذي قضاه فى تلك الغفوة لكنه استيقظ على صوت فتاة تحادثه:

. أنت تعبان من الحر وإلا من الشغل؟

تنبه على هذا الصوت الرقيق وأدرك أن إنساناً يُحدثه فإنتبه من غفوته ليشاهد حسناء جميلة تقف أمامه أسفل الشجرة وبجوارها "فرس" جميل رائع وأطلق عليه الباشا لقب (رهوان) لسرعته وخفته فى العدو، أما الفتاة فكانت ترتدي زى الفرسان الذي نشاهده فى مسابقات الخيول.

مازال مصطفي جالسا فارداً ساقيه للإمام، حادثها بقليل من الاكتراث والاهتمام.

. فعلا أنا مريح شوية من الحرارة الشديدة.

. أنت مش خايف أن الباشا يعرف ويمكن يسبب لك مشكلة؟

. أبدا .. أنا مش خايف من الباشا لأن ما فيش حد يخاف من اللى بيحبه.

. بيحبه!! يعنى أنت عايز تعرفني أنك بتحب الباشا؟

ـ أيوه طبعا .. لكن أنتِ مين؟ نازله سؤال ورا سؤال وراكبه الفرس الغالي ده ولابسه لبس الفرسان .. إيه حكايتك؟ يمكن تكوني قريبة الباشا وإلا من أصحاب بناته أو أولاده؟

بضحكة جميلة تجيبه:

. هو أنت تعرف ولاد الباشا وبناته؟

. أعرف علاء بيه بس لكن حاجه تانيه ما أعرفش.

. يعنى متعرفشى "شيرين" بنت الباشا؟

. لا والله ، أعرفها منين؟ أنا يادوب مشغول ومالیش دعوه بحد غير شغلي وناظر العزبة وسعادة الباشا؛ لكن أنتِ واقفة ليه

خايفه أن هدومك تتوسخ من تراب الأرض؟

. لا أبدا، وعلى كل حال أدى قاعدة.

ـ لا .. لا .. تفضلي هنا مكاني واسندي ضهرك على الشجرة أحسن، انا لحد دلوقتى معرفتش أنتِ تبقى مين؟

ـ انا أبقى مين يا مصطفى .. أبقى مين .. أبقى شيرين النحلاوى!!

ينتبه مصطفى وينظر إليها محدقاً متسائلاً:

. لكن عمرى ما شفتك؟

ـ فعلا .. أنا كنت مسافرة لفرنسا للدراسة ورجعت من يومين، لكن يكون فى علمك، انا بأحب العزبة مووت وحتلقانى كل يوم ماشيه فى الأرض وأشوف الفلاحين وأشوف الزرع، انا غير علاء أخويا؛ إبتسم قائلاً:

. "الحمد لله"

. بدهشة!!

. مش مبسوط من علاء؟

ـ أبدا .. أنا مليش بيه أى صله، دايما زعلان وقرفان من كل

الناس الموجودة هنا.

لاحظ مصطفى أن الحصان يضرب بحافره أرضا فنهض معتذراً بأنه سوف يحضر ماء لكى يشرب الحصان فقد طلب الماء، ضحكت وتساءلت أثناء مغادرته المكان.

- هو أنت بتعرف فى لغة الخيل؟ نظر إلى الخلف جهتها باسماً.

. الخيل والغزال، تكمل حديثها باسمة الوجه:

- هو فيه غزال فى المزرعة؟ عاد حاملاً وعاءاً مملوءً بالماء ووضعه أمام الحصان ثم اقترب من مكان جلوسها.

. أيوه .. من النهاردة فيه غزاله شاردة ويمكن تفضل معانا على طول لكنى ح أخد بالى منها.

بخجل نظرت إلى الأرض قريباً من ساقيها ممسكة بإحدى أفرع شجرة جافة صغيرة تخطط بها.

. أنت باين عليك شقى؟

- أبدا والله، لكن أنا زى الفراشة اللى تشم ريحه حلوه وتشوف حاجه جميله فتروح عليها.

- بس الفراشة بتروح على١١اكتر من زهرة وأكيد أنت ح

تعمل زيها

. أنا بشر ومليش غير زهره واحده، ابتسمت واستأذنت وغادرت المكان.

***

فى المساء جلست شيرين فى فراندة الفيلا تستمع إلى إحدي الأغاني:

الورد جمـــــــــيل ٠٠ جميـــــــــــل الورد
الورد جميل وله أوراق ٠٠ عليها دليل من الأشـــواق
إذا أهـداه حبيب لحبيب ٠٠ يكون معناه وصال قريب
شـــوف الزهور وأتعلم ٠٠ بين الحبـــــايب تتكلـــم
شـــوف .. شـــوف .. شـــوف .. شـوف الزهور
شـــوف وأتعلم

تُحدث نفسها عن هذا الشاب الذي سمعت الثناء عليه من جميع العاملين على ما يقوم به من عمل منذ أن إنضم إلى العزبة بعد مغادرتها مصر إلى فرنسا مباشرة.

. ياه .. بقاله تلات سنين لكن بابا بـ يشكر فيه وباين عليه أنه بيحب بابا وكمان باين عليه أنه ح يحب بنت بابا!! ضحكت

لهذا التعبير، نهضت متجهة إلى حجرتها.

بعد قليل سمعت صوتا أطربها يغنى أغنية قديمة:

مريت علي بيت الحبايب من اشتياقي أناجي أهله
ما دام مليك القلب غايب وفي التلاقي يبخل بوصله
وقفت لحظة هنيه من غير عزول أو رقيب
أنعش فؤادي وغني بجو فيه الحبيب

نهضت من سريرها ونظرت من خلف الستارة الرقيقة فشاهدت مصطفى يسير قريبا من الفيلا ومازال يدندن بأغنيته تحرك قلبها وشعرت به بعد أن أصبح مثل أرض جف طينها ولم تعد مثمرة.

تحدث نفسها: ياه .. لقد رفضت الاقتران بجميع الشباب الذين تقدموا أو حاولوا التودد لى ومازلت رافضة لأى علاقة مع أى شاب رغم الثراء والمركز الاجتماعي، فجأة أشعر بالهوى نحو هذا الشاب الذي قابلته عصر هذا اليوم .. انه لشيء محيرٌ ومثيرٌ للاستغراب والدهشة.

عادت إلى سريرها تحاول فرد ستارة النوم الحريرية على جسدها دون فائدة، لقد استطاع مصطفى بمشاعره أن ينزع تلك الستارة الواهنة عن جسدها وعقلها فترك جسدها عاريا من

نوم مريح ودفعها هذا إلى بركان أضرم بعقلها وقلبها.

***

عاد مصطفى إلى الاستراحة وشغلته "شيرين" بعض الوقت كما أسعدته تلك الدقائق التى استمر يحادثها رغم أنها تعدت الساعة، حادث نفسه التى هى جارته ومؤنسة وحدته:

جميلة شيرين .. ورقيقه خالص .. طيب وبعدين؟ ح أعمل زى حسن الجناينى والأميرة بنت السلطان ونجوز!! الكلام ده فى الروايات وقصة ألف ليلة وليلة .. لا يا شهرزاد، الكلام ده غير مقبول أو معقول وعلشان كده ح اسكت عن الكلام المباح .. ادن يا ديك عشان أروح فى نوم هادئ زى شيرين دلوقتى اللى مش فكرانى ولو لثانية واحدة، يا بختك يا شيرين.

***

أصبحت العادة اليومية لشيرين التوجه إلى الإسطبل فتجد السايس قد أعد لها الفرس لتمتطيه وتتجه به إلى الحقول للإشراف على العمال وأسعد هذا والدها النحلاوى باشا الذى كان مشغولاً في اجتماعات مجلس النواب ومشاكله المستمرة مع كلّ من الملك فاروق والانجليز.

من حين لآخر يربت الباشا على صدره قائلا:

- والله شيرين طلعت أجدع من ابني علاء الكبير وهو راجل لكنه مش بيحب الزراعة ولا الأرض ولا الفلاحين لكن شيرين حبيبتي طالعه لأبوها وجدها النحلاوى.

تطـورت الأمـور بـين الشـابين مصـطفى وشـيرين إلـى صداقة قوية لا يفترقان إلا فى المساء، كل واحد منهما يتجه إلى مكان إعاشته لينام ملء جفنيه بعد أن اشرفا على الزراعة والعمال وبعد أن ارتوت الأرض والمزروعات وبعد أن حصل كل واحد منهما على جرعة حب سواء بالنظرات المتبادلة أو من تماسك الأيدي فى بعض الأحيان أو بكلمات الإطراء كلّ على الآخر مع إستخدام الرمز حتى لا يفهم حديثهما أحد، يخبرها بأن غزالته اليوم رقيقة وتسمع خفقات قلبه فتخبره شيرين بأن قطها أليف لكنها تخشى أن يلعب بديله مما يدفعهما إلى الضحك معاً.

تدرب مصطفي علي ركوب الخيل وكاد أن يسقط أكثر من مرة من فوق صهوة الجواد مما دفع بشيرين للضحك ورغم هذا لم تتركه وساعدته وشدت من أزره لمواصلة التدريب علي كيفية التعامل مع تلك الحيوانات الرائعة، وتتسائل:

كيف تحدثني عن الخيول بتلك المهارة والعلم دون أن تتعامل معها؟ يجيب: بأنه تعامل معها من خلفية علمية وهي دراسته

بمدرسة الزراعة العليا بالإضافة إلي الخيول التي كانت في إسطبل عمه بقريتهم حيث أنه من أكبر المربيين لتلك الخيول، فقد كنت مع ابنه رشيد نساعده خلال الأجازة الصيفية حين توقف الدراسة، أثناء هذا علمت الكثير من أمور الخيول لكننى لم أتشجع أو أقترب منها لإمتطاء صهوتها وهناك إختلاف واضح بين الرعاية والإشراف وبين أن تصبح فارسا، لأن الرعاية شيء وركوب الخيل شيء آخر.

بعد عدة محاولات للتدرب نجح مصطفي أخيرا في أن يعتاد علي التعامل مع الخيول، وأصبح فارسا وعلى خبرة من ناحية التعامل الفنى وليس خدمة الإسطبل كما كان يفعل ويقوم لدي عمه ولهذا تشجع في ممارسة تلك الرياضة وأصبحت حركته أسرع في المرور علي أرجاء العزبة مترامية الأطراف يعود بعدها ليحصل علي راحته أسفل الشجرة التي جمعته مع شيرين.

أصبحت شيرين تستعجل ميلاد نهار يوم جديد كي تتجه إلي الحقول ممتطية فرسها بخيلاء ومزودة بالأنوثة والجمال والشباب كي تلاقي الحبيب الذي نبت فجأة بعزبة والدها من خلال النباتات والأشجار، شعرت بأن مشاعر الحب تنمو بينها وبين مصطفي مثل نمو١٨النباتات بالأرض الطيبة،

ولـهذا كان من الواجب علىها راعيتها وتزويدها بكل ما يلزم من وسائل الحياة حتي تنمو وتزدهر.

في بعض الأحيان كان يعتريها نوع من التردد فى المُضى فى مثل تلك العلاقة ورغم رغبتها الشديدة في الارتباط بهذا الشاب فلم يخطر على بالها إقامة علاقة ما مثل التى شاهدتها في فرنسا أثناء الدراسة أو مثل بعض بنات العائلات الراقية في مصر المتشبهات بالدول الأوربية، فعلاقة الرجل والمرأة الغرباء بعيداً عن العمل لابد أن تصب في القناة الشرعية وهي الزواج.

من حين لآخر كانت تصيبها الحيرة وتعيش فى حيرتها تلك متسائلة: هل مصطفي مناسب لي وهل هو الرجل الكفء الذي أسلمه جسدي وحياتي وعمري بعد أن سلمته قلبي؟ أسئلة كثيرة لا تجد لها الإجابة الشافية سوى شيء واحد كان يزيل التردد ويلجم اللسان عن أي سؤال، لقد كانت هناك كلمتان الأولى ذات حرفان وتعنى "حب" والأخرى ذات ثلاثة أحرف وتعنى " قلب" والتى لا تستطيع التحكم فيهما، وتردد من حين لآخر انا لا استطيع أن امسك مشاعري وأحبسها بعيداً عن هذا الحبيب الذى يوقظنى من نومي ببسمة سعيدة قبل أن تصل إلي الشفاه بعد أن تربعت بقلبي وحركت هذا الفؤاد المختفي بداخل جسدى

فيحرك كل شيء بهيج مع الشعور بالتفاؤل والانشراح.

لم يسبق لي أن دخلت تلك التجربة من قبل، وهل لو دخلتها سوف أصبح متمرسة علي التحكم في مشاعرى وأهوائي؟ لا أعتقد، بل سوف أصبح مثل السيارة التي تتحكم بها عن طريق عجلة القيادة والفرامل ودواسة البنزين، سوف أصبح آله ولن أكون هالة جميلة تقابل طيفا تتعانق خلاله القلوب قبل الأجساد.

في بعض الأحيان تهاجمني الرغبة بأن أفتح خزانة قلبي لصديقتي وزوجة شقيقي علاء بما أكابده من مشاعر صادقة تجاه ذلك الشاب الوافد من شرق مصر والذي غزا عزبة النحلاوي بسلوكه المهذب مع الجميع وبالنشاط المستمر علي العمل، هذا بالإضافة إلى العلم الذي حصل عليه ويقوم على تطبيقه، فى كثير من الأحيان أتراجع وأشعر بأن تلك المشاعر هي ملك خاص لي لا أستطيع أن أبوح بها لأي إنسان حتي الشخص المتسبب فيه أى مصطفي، إنها أسرار قلبي ومفاتيح حياتي المقبلة وخزانة الانفعالات والأحاسيس، كيف أعرضها علي كل من هب ودب.

صافيناز هي صديقتي الوحيدة التي أثق بها رغم أنها لم

تشركنى فى مشاعرها التي كانت تلازمها حين تقدم شقيقي علاء لها، لماذا لم تشاركنى فى تلك المشاعر؟ أعتقد أن السبب الرئيسي في ذلك هو شعورها بأنني أصغر منها عمرا ولا يجب أن تفتح عيناي علي مثل تلك المشاعر من حب وأحاسيس تمشيا مع عادات المصريين الملتزمين بالوقار والدين وبأن هذا لا يجب أن يكون.

سوف أستعيد وقارى حين أشاهد الغبار الناتج من ضربات الحصان الذي يمتطيه مصطفي، يجب أن أعود إلي حالة الجدية والوقار وابتعد عن تلك المشاعر التي أثرت علي جسدي وبشرتي فدفعت بدماء الشباب إلي وجهي مما جعل بشرتي اكثر نضارة وإحمرارا لتكشف أسرار ما كنت أفكر فيه حتى لو كان الحبيب الذي تركني منذ ساعة ثم عاد ثانية ليتحجج بحج واهية بأنه أنهي المرور علي الجانب الآخر من العزبة وأتي ليتابع باقي الأحواض، لكن حججك تلك أصبحت فاضحة أمامى أيها المحب الولهان.

لماذا توقف بالحصان لمسافة أبعد عن المعتاد؟ هل غير من رأيه ويريد العودة؟ لقد هبط من فوق صهوة الحصان متجها ناحيتى واللجام بيده.

– تأخرت عليكِ

ـ أبدا .. دا أنا افتكرت إنك مروحتش ناحية عنابر تسمين المواشي.

. لا ، رحت لكن خلصت بدرى وقلت أجي أريح شويه وأتعطر هنا تحت الشجرة!!

. تتعطر يا مصطفي .. سيبك من اللكاعة دية .. أنت حر .. الباشا ممكن يعرف ويخصم لك كام يوم، بتضحك!! أنت حر

ـ يخصم سنه مش مهم لكن المهم إني ما ضيعشي كام دقيقة حلوه من النظرة في عيون الحبيب.

ـ يخرب عقلك .. مصطفي بلاش الكلام الناعم ده .. كلامك بيلخبط أي ست .. أرجوك.

ـ أنتِ مش أي ست، أنت حاجه من السما، بخاف أحلم وأن الحلم ده ممكن يروح مني، ح نفضل نتكلم، اركبى فرسك نلف شويه نشوف الفلاحين عشان تفتحي نفسهم بكلامك الجميل وبحسن خلقة ربنا.

تحدث شيرين نفسها: ماذا حدث لى؟ أتبع خطوات هذا الحبيب مثل ظله، فإذا انحرف يمينا انحرفت لنفس الجهة؛ وإذا

توقف توقفت بنفس الفاصل والمسافة التي كنا نسير عليها، لا أتحدث قبل أن يتحدث فأنا مصغية لحديثه، لقد أغلقت فمي ولم يعد يعمل إلا للمساعدة علي التنفس وإخراج الزفير، أذني شديدة الحساسية وعيوني كأنها عين صقر وقلبي خرج من موضعه وجلس بجوار مصطفي، أسمع نبضات قلبه وتشنجات صدره يحدثني فلا أجيب وكلي رغبة في أن تلتقط أذني أسرار كلماته قبل أن يتفوه بها، يبتسم لي بسعادة ويشير إليّ لماذا توقفت عن الحديث، وضع كف يده علي فمه كأنني أغلقت فمي بالضبة والمفتاح، خرجت مني ابتسامة دون إرادتي فهلل لها كالطفل مصفقا سعيدا وصدرت من فمه أصوات السعادة الإنسانية بنغم حالم كامل، لا أستطيع غلق فمي وطرد ابتسامتي، مازالت الابتسامة واضحة مستمرة دون حديث، أشعر بألم في الفك فالفم اتسع دون إرادة مني، أعتقد بأنه لو تكرر هذا الحدث سيصبح فمي أكبر حجما من فم سيد أفندي قشطة والتي كنت أشاهده في حديقة الحيوانات، ماذا أفعل؟ كيف التصرف أمام سحر هذا الشاب، لابد من الإنسحاب والمغادرة.

أدرت رأس الفرس وأسرعت بالهرب ومغادرة المكان أسمع ضحكاته المقرونة والمستفسرة لماذا العودة؟ أرجوكِ توقفي وابقي بجواري، أسمع حافر الحصان محاولا اللحاق بي،

فأسرع الخطي.

أشعر بأن الفرس التي أمتطيه قد أنهكته السرعة بل أشعر بأننى سوف أسقط من فوقه، أنظر إلي الخلف فأشاهده قد إقترب مني، ماذا أفعل؟ أشعر إنني طائرة في الهواء، خرجت مني صرخة مكبوتة ولم اعد أشعر بشيء، حتي أصواته الضاحكة إبتعدت عن أذني و .....

أنتبه إلي صوته يحدثني متخوفا من حدوث شيء خطير أو إصابة أنتبه لحديثه وكلماته، أفتح عينى لأشاهده جاثما قريبا من وجهي وصدري وأنا مسلتقية فوق أكوام تبن القمح، خشيت القيل والقال وأن يشاهدنا البعض وما أكثر العاملين بالعزبة رغم أنني كنت أشعر بسعادة لا مثيل لها، فلم يسبق لى أن إقترب مني بمثل تلك المسافة القصيرة، أشعر بأنفاسه تلفح وجنتى ثم ترتد إليه، أحرك يدي وأمسك وجهه أتلمسه، أبتسم له، يعود برأسه للخلف قليلا، أشاهده ضاحكا يشير بيديه كأنني مجنونة أو أن عقلي اختل، أشير إليه بأن يقترب؛ اقترب مني مجيبا إشارتي مثل ما تشير إلي قط صغير أليف فيطيع دون تردد، وضعت ذراعي حول رقبته وجذبته نحوى اقتربت الشفاه أكثر فأكثر، لا أستطيع المقاومة، لو أنهدت الدنيا لن أتركه، لا أشعر بشيء فما شعرت به لا٢٤أستطيع وصفه، أنه شيء

ساحر كامن بالإنسان يسعد أمة كاملة فما بالك بفتاة.

أشاهده يقف بعيدا عني بعدة أمتار واضعا كفه الأيمن علي فمه وكأنه سرق شيئا ومازالت السعادة بادية في عينيه، تلك السعادة التي شاهدتها قبل أن تلتقي الشفاه، عاونني علي امتطاء صهوة الفرس ودفعه بيده فتحرك بينما جسدي يميل إلي الأمام كأني مصابة بضربة شمس، توقف الفرس أمام الإسطبل وأسرع السايس وأمسك باللجام، هبطت من فوق ظهر الحصان بكسل وخمول حتي إذا وصلت قدماي الأرض سقطت ولم تستطع قدماي تحمل وزني، تنبهت علي صوت السايس " ألف حمد لله بالسلامة يا ست هانم .. انده علي البت رتيبة" أشرت إليه بألا يفعل، نهضت بصعوبة، سرت مترنحة إلي القصر دخلت شبه مصابة بالحمى، أسير بتثاقل، شاهدتني الدادة أم حافظ فأسرعت إليّ وطلبت مساعدة بعض الخدم، أتين مسرعات وحملوني إلي السرير، أشرت إليهن بعدم إزعاجي وأنني بخير وأرغب في الاسترخاء قليلا، انصرفت الخادمات، قفزت من سريري سعيدة مهللة ونزعت ملابسي الخارجية وبقيت بملابسي الخفيفة الشفافة، اتجهت إلي المرآة، شاهدت تضاريس جسدي وكأني أشاهدها لأول مرة، تحسست صدري ومقدمة بطني.

سكنت وتهدت وتحسست ذراعي وملست علي خدي، رتبت شعري الطويل، أدرت ظهري للمرآة ثم تذكرت ما تم بيني وبين مصطفي، عدت مسرعة أشاهد تلك الشفاه التي أدت إلي سكرتي منذ عدة دقائق، لاحظت أنهما شيئا آخر، لقد أصبحتا شيئا غريبا علي عيوني كأنهما زهرتان تطيران في الهواء من تأثير الرياح وأنا أتبعهما، صرخت وصفقت فأسرعت النساء بالدخول، أشرت إليهن بالمغادرة، ظللت أتابع المرآة التي نقلتني إلي جهة أخري وإلي شيء آخر لا أستطيع وصفه، أسرعت إلي السرير وتمددت به علي أي جهة وبأي وضع ولم أشعر بالنوم لكني شعرت بأن روحي غابت وأنفاسي قطعت وخفقت الأصوات، حاولت الإفاقة لم أستطع وأيقنت بأن حياتي انتهت عند هذا الوضع، شكرت الله أن أسعدني قبل أن أقابله كي أكون مستعدة لحساب الملائكة وبحالة مزاجية طيبة.

تكررت اللقاءات، كنت أخشي التمادي في حبي واندفاعي نحوه، لقد كانت تجربة الأمس شديدة علي مشاعري وشعرت بأنني أضعف مما كنت أتصور وأتخيل، كنت أعتقد بأنني قوية ومتماسكة، لكن هذا الشاب قلب كياني رأسا علي عقب وبالتالي لا أستطيع منعه وإبعاده عني، خشيت سوء العاقبة وقد ننزلق إلي ما أخشاه.

قررت أن أحتاط للأمر، إن قربه مني يجعلني عجينة لينة في يده، أشاهده مقبلاً نحوي وابتسامة الأمس التي قلبت كياني أشاهدها علي وجهه كأنها عدوي أصيب بها من لقاء الأمس أحاول التماسك وأن أكون قوية، وقف أمامى ينتظر أن أبدأه بالحديث، مازلت ساكنة هادئة، أنحني قريبا مني ووضع قبلة صغيرة علي خدي، شعرت باضطراب، في البداية دفعته في صدره بهدوء، عاد ووقف أمامي ينتظر إشارتي، أحادثه:

. مصطفي .. لم أستطع تكملة ما كنت أرغب فى الحديث فيه.

أجاب بحنان شديد:

. أيوه .. وبعد مصطفي فيه إيه؟

. ناخد بالنا والحيطان لها ودان.

. كلامك مظبوط .. امبارح كان يوم من عمري لكن خفت إننا مانعرفشى نتحكم في عواطفنا وتبقي مش كويسه قدام ربنا وبعدها الناس .. أنا بأحبك ولازم أخاف عليكِ وأنتِ بنت أحب الناس إليّ بعد المرحوم أبويا .. ربنا يخليه لكِ وليا.

. كده كويس .. نقوم نشوف شغلنا.

. يا لله بينا

سرحت شيرين بخيالها وهى تحادث نفسها:

أشاهده موجها الفلاحين لأعمالهم مرشدا لهم بطريقة هادئة تخلو من العنف وإرتفاع الصوت .. أشعر بسعادة بأن هذا الشاب الرقيق هو حبيبي الذي أحلم به في منامي وأتخيله في صحوتي، لم أعد افعل شيئا، إن كل ما يسعدني هى صحبته وسماع صوته ومشاهدته أثناء العمل.

أحاول وضع معني لكلمة سعادة، لا أستطيع، إنها مثل الماء لا لون ولا طعم ولا رائحة، شيء عال القيمة فريد الإحساس والمشاعر وأي طعم وتعريف تضعه لتلك الكلمة سوف تقلل من قيمته مثل الماء لو وضعت عليه أي لون أو طعم أو رائحة لما أصبح ماء بل يصبح شيئاً آخر، اعتذرت له وتركته يقوم علي مهام عمله عائدة إلي قصر والدي، مازال خياله ماثلا أمامي، أشعر بحالة عالية من الرومانسية المتدفقة إتجهت إلي الراديو وأدرت مفتاح التشغيل فإنسابت بعض أغان وألحان جميلة، أستمع لتلك ألأغان وأشعر بأن طعمها مخالف عما سبق، فقد كنت أستمع لتلك الأغاني والألحان ولم يكن لها هذا الطعم وهذا الجرس بأذنى، ما طعمها؟ أضحك من هذا السؤال، فقد سبق وقلت إنها مثل الماء، أيضا تلك الأغاني

والألحان مثل الماء، إنها رفيقة الحب، أشعر بنمو في جسدى وفورة داخلية وإقبال علي الحياة، أشاهد جميع الخادمات جميلات رقيقات أسمع أصواتهن كأنها قطعة موسيقية صادرة من آلة العزف "ماندولين" أضحك بتلقائية، أتساءل: ماندولين حته واحده يا شيرين؟ تلك الآلة الرائعة التي كان يعزف عليها الموسيقار عبدالوهاب في فيلم غزل البنات الذي شاهدته في قاعة سينما ريفولي وحضر عرض هذا الفيلم الفنان محمد عبدالوهاب مع النجوم أنور وجدي والرقيقة ليلي مراد، شعرت بأن هذا هو الحب، الكلام جميل واللحن الذى به أرقى من موسيقى الحياة الرائعة، أغمض عيني وأطير مع الملائكة في رحلة مشبعة بالحب والموسيقي والنغم الحالم.

***

مصطفى:

بالأمس لم أدرك وأستوعب ما حدث بيني وبين شيرين، لا أستطيع التفسير أو التوضيح، لا أستطيع استرجاع هذا الحلم الجميل، هل من المعقول أن قبلة خفيفة تفعل بى كل هذا؟ لا أصدق، لكن لماذا لا أصدق؟ لقد حدث وفعلت القبلة شيئاً غريباً ورائعاً، ولماذا لا أستطيع أن أستعيد تلك اللحظات

الفجائية، لم أستطع مقاومة سحرها وجاذبيتها، هل أنا محظوظ أو تعيس بحبي لتلك الفاتنة؟

أخشي أن أدمن حبها ولا أستطيع الاقتراب بها بالصورة المعهودة أى الزواج، أيقبل الباشا أن أقترن بوحيدته؟ لا أعتقد وما الحل أيها المعجب الولهان؟ لا بد من وضع تصور لما قد يحدث في المستقبل بيني وبين الباشا حين طلب يد وحيدته، لا أجد حلا فهذه معضلة قوية وضعت نفسى فى داخلها، سوف أدع الأمور تجرى فى أعنتها وأبيتن خال البال وما بين لحظة وضحاها يغير الله من حال إلي حال لقد قالها الأقدمون وسوف أتجه إلي سريري والقي بجسدي المتعب وفكري المسهد لعل الله يأتي لي بمخرج من تلك الورطة.

كشف سر العلاقة

مضي علي تلك العلاقة القوية بين مصطفي وشيرين عدة أشهر غير أن تلك القبلة السريعة الخاطفة لم تتكرر مرة أخري خلال تلك الفترة شعر الاثنان بوخز الضمير وفي نفس الوقت شعرا بأنهما لن يستطيعا كبح جماح تلك العواطف إذا تكرر ما سبق ما حدث بينهما، ومن أجل هذا عاد الحبيبان إلي سابق عهدهما في التحدث والضحك.

أصبح سلوكهما اليومى تناول طعام الغداء أسفل تلك الشجرة الميمونة التي ظللت قصة حبهما، حيث كانت الخادمة تحمل لهما الطعام فيتناولانه ويستريحان في ظلال الشجرة ثم يبدأ مصطفي عمله ومتابعة العاملين بالعزبة ولا يعود أي منهما إلي مقره إلا فى نهاية اليوم وقد إستهلكا اليوم بكامله في العمل والحب الدفين تحت تراب العزبة الطاهر.

فى العادة كان الباشا حينما يأتي إلى العزبة يلاطف مصطفى ويحدثه بكلمات المديح والثناء على حُسن قيامه بعمله وتشجيعه للدفع به إلى الأمام ولكن الذى حدث خلال هذه الزيارة لم يبعث الراحة فى صدر مصطفى فقد كان الباشا هادئاً رزيناً وتحدث مع مصطفى بكلمات مقتضبة حيث بادره:

. صباح الخير يا باش مهندس

. صباح الخير سعادة الباشا

. تعال قرب منى يا ابني!!

. حاضر سعادة الباشا .. تحدث الباشا فى موضوعات مختلفة لا رابط بينها؛ صمت قليلا ثم فاجأه قائلاً:

. لو عرفت أن فيه شاب يغازل أختك تعمل إيه؟

اضطرب الفتى وارتفع خفقان قلبه وأصبح لا يشاهد الأشياء بوضوح وشعر بأن دوارا قد أصابه، حاول جاهداً إخفاء توتره وإخفاء العرق المتصبب من جبينه فلم يستطع ولم يعثر على كلمات يجيب بها على السؤال المفاجئ الذي عرضه الباشا بكل ذوق رفيع.

. أكيد ح تزعل يا مصطفى، مش ده يعتبر شرف الإنسان ومن ناحية أخرى عدم أمانة وإخلاص.

بصوت متحشرج ينساب بصعوبة من خلال حنجرته:

سعادة الباشا، لقد أخطأت واسمح لي بترك المزرعة والبحث عن عمل آخر، لقد فقدت أبى منذ عشرين عاما وكنت وقتها طالبا بالمدرسة الأولى ولم يعوضني أعمامى أو أخوالي

أو إخوتي عن ذلك رغم محاولاتهم، لكن لحسن الحظ عوضتنى سعادتك بما اسبغت علىّ من نعم وعطف ولهذا فأرجو المعذرة واسمح لي بأن أناديك أبى .. أبى لقد أخطأت فى حقك ولكن دون قصد والله يعلم كل شيء؛ فلقد احسست أنى مدفوع إلى هذا الإتجاه دون أن أدرى وكما يقول المثل لكل جواد كبوة فأرجو المعذرة وأن تتناسى تلك الكبوة وسوف أدفع ثمنها من أعصابي وتأنيب ضميرى بعد مغادرتي لعزبتك.

شعر الباشا بما يكابده الشاب حيث كانت له تجربة سابقة لا يعلم عنها أحد، لكن ملامح ونبرات وصوت الشاب كانت حزينة إلى درجة كبيرة مما دفع الباشا إلي أن يطيب من خاطره علي وعد بألا يعود لمثل هذا التصرف ثانية وأن يظل فى عمله كما يسعده بأن يصبح له ابن ذو ضمير حي يعترف بشجاعة ويندم على فعل الخطأ، ربت على كتفه ليطيب خاطره حينما انصرف مغادراً الموقع.

عصر نفس اليوم جاءت "شيرين" كعادتها تحادث مصطفي لكن دون جدوى، فقد التزم الشاب بوعده مع الباشا طرحت عليه شيرين بعض الأسئلة فلم يجب عليها فظلت تحثه كى يجيب ثم شرعت فى اغوائه لعلها تفوز بإشارة من إصبعه

توحى بأن شـــيئا قد حدث لكنه استمر فى صمته.

لم يكن مصطفى يخشى الفضيحة أو الضرر المادي لكن طبيعتـه السمحة ونبل خُلق الباشا وضعه فى هذا الموقف الصعب.

صباح اليوم التالي لم يستطع الشاب التوجه إلى عمله حيث قضى ليلة بائسة زرف فيها دموعا غزيرة كلما استعاد صوت الباشا وهو يوجه له سؤاله: "هل تقبل أن يغازل أحد شقيقتك"؟

اتجهت شيرين إلى الحقل تتجول كعادتها وافتقدت رؤية مصطفى، سألت عنه فأخبرها البعض بعدم مشاهدتهم له ذاك اليوم، توجهت لناظر العزبة مستفسرة منه عن أسباب تغيب المهندس المسئول عن عمله، اخبرها بتوعكه ومرضه، تساءلت هل زاره الطبيب، نفى هذا فتركته منصرفة واتصلت بالطبيب الذي حضر وقام بالكشف عليه ونتيجة فحص الطبيب بأنه لا مرض عضوى لديه ولكن الشاب أصيب إصابة نفسية جعلته يتقلب على نيران الألم النفسي ومن المحتمل أن أحداً قد أغضبه أو وبخه توبيخا شديداً مما حدا بالطبيب إلي أن يصف له بعض المهدئات.

حزنـــت شـــيرين لهـــذا، وربطـــت هـــذا بالعلاقـــة التـــى

بينهما وتصرفاته معها بالأمس ولم يهدأ لها بال، أرسلت بأحد العاملين لشراء الدواء.

علمت من الخادم أن الباشا التقي بمصطفى وتحادثا معاً على انفراد وبعد مغادرة الباشا المكان سقط الشاب أرضا أثناء توجيه العمال لأعمالهم فأسرع بعض المزارعين بحمله إلى حجرته.

استنتجت شيرين أسباب المرض وأوكلته لما حدث بين والدها ومصطفى، لقد علم والدها بقصة حبهما، فالجميع يشاهدونهما منذ ستة أشهر يتقابلان يوميا ويحصلان على راحتهما ويتناولان الطعام معا بالإضافة إلى الضحك والسعادة التى تلوح عليهما، اتجهت إلى ناظر العزبة وسألته بكل جدية وخشونة عما أخبر به والدها وفوجئ الرجل بهذا فأعتقد بأن والدها أخبرها بما نقله إليه عن حالة الغرام والحب التى جمعت بينها وبين مهندس العزبة.

تركته غاضبة كارهة أن يحدث هذا وأن يتطاول بعض العاملين بالوسية بالقول وأن يصدقه والدها، اتصلت به تليفونيا بالقاهرة طالبة حضوره على الفور .. حضر الباشا وهو يعلم سبب ثورة ابنته التى يدللها ولا يرفض لها طلبا ولا رغبه، في

المساء جلس الأب وإبنته وبكل أدب وصراحة فاتحته:

– بابا، انا معجبه بالمهندس مصطفى ولو تقدم ليا ح أواف.

اذهلت المفاجأة الرجل وصمت محاولا استيعابها، نظر إليها نظرة حانية من أب يتمنى أن تعدل ابنته عن قرارها أو رغبتها قائلاً:

. ده آخر كلام عندك؟

. ايوه : وأنا مصممه عليه، تردد الباشا بعض الوقت ثم قال:

. مبروك يا شيرين، نهض ليطبع قبلة حانية على وجنتي ابنته التى فاضت دموعها وسقطت على فستانها مرورا بخديها .. نهضت وتوجهت إلى مسكن مصطفى الذى كان يهذى من حمى الإهانة وآلمه شعوره بالخيانة لولى نعمته، فتحت لها الخادمة الباب فبادرتها بالسؤال عن حاله وأجابتها بأن حالته سيئة ويهذى بكلمات غريبة ويستنجد بك سيدتي حيث يتفوه باسمك دائما.

أقبلت عليه ومازال نائماً يُهذى، جففت عرقه الغزير وخاطبته بكل حب ومودة.

. مصطفى قوم .. انا شيرين .. انتفض لسماع اسمها وجلس

راغباً فى الابتعاد عنها.

. أرجوكِ أفضلي بعيدة عنى .. حرام .. حرام شيرين.

بكل رقة وضعت كفيها على خديه تربت عليهما بهدوء وأخبرته:

. مصطفى، بابا وافق إننا نجوز، بقول لك بابا وافق إننا نجوز قوم وصحصح، مالك مسهم؟ سقط مصطفى على فراشه من هول ما سمع وكأنه فقد الوعى واندفع العرق الغزير يغطى وجهه حتى وصل لطيات ملابسه.

جلست تبكى بجواره ورق قلب الخادمة التى فى مثل عمر شيرين محاولة الأخذ بيدها بكلمات طيبة على قدر ثقافتها أحضرت فوطة تجفف بها عرق مصطفى الذى تنبه وأفاق بعد غيبوبة قصيرة وشاهد شيرين فمد يده إليها، اقتربت منه فقبل كفيها وبادلته قبلة علي خديه وأخذت رأسه على صدرها تهدهد على صدره وتنثر عليه كلمات طيبة رقيقة.

صباح اليوم التالي تماثل مصطفى للشفاء من علته النفسية وحصل على حمام منعش وسمعت الخادمة طرقاً على الباب فاتجهت لفتحه فشاهدت الباشا برفقة شيرين، رحبت بهما ودلفا إلى حجرة مصطفى الذي كان قد انتهى من ارتداء ملابسه، شاهد عيون الباشا والبسمة تطل منهما فأقبل عليه

مصافحا مقبلا يده قائلاً:

أهلا أبى، شرفت المكان، نظر إليه الباشا ولمعت دموع الفرح والتأثر فى عينيه فاحتضنه مربتا على ظهره، تأثرت شيرين وبكت من حرارة هذا اللقاء التى لم تكن تتوقعه اصطحبهما الباشا إلى خارج الاستراحة واحتضن الشابين كل علي أحد الأجناب وسار بضع خطوات بهما فى هذا الوضع شاهده بعض العاملين بالعزبة والخادمة تسير خلفهم، نظر الباشا خلفه وأشار إلى الخادمة قائلاً:

. زغرودة يا بت علشان ستك شيرين وسيدك مصطفى حيجوزوا.

اندفعت الخادمة تزغرد بكل حب وبهجة وأعقبتها بعض النساء القريبات وسرعان ما انتشر الخبر بين أهالي العزبة الذين أقبلوا على دفعات للتهنئة سواء للباشا أو لإبنته أو للمهندس الذى تربطه بهم علاقة حب وعمل.

أقيم احتفال كبير وشرفه بالحضور حسن باشا الشرقاوى وأسعده بأن يكون الشاب الذي كاد أن يتسبب فى مشكلة مع صديقة النحلاوى باشا قد أصبح صهره وزوج ابنته الوحيدة كما حضر الحفل أيضا الأميرالاي حمدي السيد نائب حكمدار القاهرة ووالد صافيناز زوجة علاء النحلاوي ابن الباشا.

مضت الأيام بالعروسين تملؤها الرقة والعذوبة والسعادة تحيط بهما، أصبح الباشا لا يغادر العزبة إلا قليلا فهو سعيد ومستمتع بما يشاهده من حُب بين العروسين والسعادة التي تحيط بهما وخاصة ابنته الصغيرة الرقيقة، فما زال الباشا يعتقد بأن شيرين لم تتضج بعد رغم أنها قد أصبحت عروسا وزوجة فمازال يعتقد بأنها صغيرته ومازال يدللها ويلاعبها ويحصل منها علي بعض القبلات قبل نومه وفور استيقاظه في الصباح.

حل صباح أحد الأيام حيث كان مصطفي يجلس مع بيومي افندى ناظر العزبة والذي يقارب الباشا عمراً وهيبة فجأة سأله مصطفى سؤالاً لم يخطر علي بال ناظر العزبة:

- ليه سعادة الباشا بيحب شيرين بنته كتير؟ يعني أكتر من المعتاد؟

أجابه الرجل ولمعت عيناه ببعض قطرات دموع راغبة في مفارقة مقلتيه:

- شيرين هانم هي الصورة المصغرة لوالدتها "تازك" هانم الله يرحمها واللي قابلت ربها وهيا شباب ومكملتشي تلاتين سنة فضل الباشا حزين عليها لحد النهاردة وفي أيام كتيرة كنت أدخل عليه مكتبه في الفيلا ألاقيه سرحان ويشوف صورهم

مع بعض وساعات عينيه بتدمع لما يحاول يفتكر تلك الأيام ويسألني: فاكر يا بيومي افندى "نازك" هانم كانت عامله إزاي؟

الحقيقة المرحومة مكنش لها مثيل، يعني الجمال مافيش غير نازك هانم، العلم والثقافة ما فيش حد زيها، الدين وقربها من ربنا لا يعلو عليها إنسان سواء سمعت عنه أو شاهدته ومن المتعارف عليه أن سعادة الباشا طيب القلب هيا كانت أكتر منه، تصور ما فيش بنت ولا ست من العزبة إلا والمرحومة قدمت لها الخير، كانت تقوم بزيارات لهم أثناء المرض أو تقدم المساعدة المادية من الكسوة في الشتا كمان مكنتش بتتعالي عليهم وكانت بتقرب منهم وتحتضنهم وتقبلهم وهما لا مؤاخذه في شغلهم متبهدلين وطبعا ريحتهم مش ولا بد لأنهم غلابا بيجروا ورا لقمة عيشهم.

ياه!! أيام يا باشمهندس: كانت تبعت ليا كتير وتسألني: ليه مدفعتش أجر الست أو البنت دي؟ أعرفها بأنها غابت أو أن شغلها مش ولا بد تبتسم ليا وتقول: ما فيش حاجه لوجه الله؟ يعني زكا عن العزبة وعن الخير اللي ربنا بعته لنا، ما تكسرشي بخاطرهم والخصم مش حيزود الخير ويمكن يقل متعرفشي حالة الناس عامله إزاي؟ دوول غلابا لا تعليم ولا

مهنه ولا صحة، خليك عطوف عليهم.

تخيل بعد ما تكلمني وتتركني أروح أي مكان مدارى وأبكي من كلامها ورقتها، كنت أفكر: بنت باشا ومرات باشا والعز ده والجمال والعلم وقلبها قريب من الناس، يا باش مهندس مكنتش بتتزين بالدهب!! عمرك شفت ست مش بتحب الدهب؟ الحقيقة شيرين نفس الحكاية!! ورثت من المرحومة الكتير علشان كده سعادة الباشا مكنش عايزها تتجوز ويقول لي ادعي ربنا يا بيومي افندى أن شيرين متوافقشى علي أى عريس يجى لها تصدق حاجه زى كده؟

كان خايف أنها تتجوز وتبعد عنه، ده معناه مرض أو موت، تصور كان كل شهر يسافر فرنسا علشان يشوفها ويرجع بعد يومين، ميقدرشى يستغني عنها ويمكن ده إللي دفعني إني أعرفه عن حالة الإعجاب والتقارب بينكم لأنه كان موصيني عليها وطبعا كان فيه شباب كتير أبناء باشاوات كانوا يحضروا للعزبة مع آبائهم ويحاولوا يقربوا من الست الصغيرة وهيا مكنتشي بتهتم بيهم والحقيقة أنا اندهشت لما لاقيتها معجبة بك وده اللي خلانى أعرف الباشا بحكم المسئولية.

غادر مصطفي مكتب ناظر الزراعة بعد أن علم منه أخباراً

كثيرة والتي تفيد بأن شيرين تقتدي بأمها "تـــازك" هانم دون أن تدرى بحكم الوراثة المتأصلة بجذورها نظراً لأن العائلات العريقة لها من الصفات والعادات الراقية التي تدور جميعها حول خُلق الإنسان وتصرفاته وحُسن تعامله مع من هم أقل منه ثقافة ووعيا أو من العاملين لديه، هذا هو نبراس حياتهم الذي انعكس علي شيرين مما دفعها للتعلق به.

أصبح العاملون بالعزبة يشاهدون أسعد شابين يمتطيان الخيل وهما "شيرين وزوجها مصطفي" كان العاملون أو أي شخص يشاهدهما يشعر بالسعادة والمتعة التي يحيا فيها الزوجان فما أجمل الشباب وما أحلي الحب وإذا اجتمع الاثنان مع المال والجاه لأصبح شيئا عالي القيمة.

أصبحت حياتهما نمطا واحدا بين النهار والليل، فالنهار مخصص للعمل والمرور علي أرجاء العزبة المترامية الأطراف كبيرة المساحة يقدمون الإرشادات علي العاملين والتي كانت مُغلفة بالبسمة والحب مما انعكس علي العمل والإنتاج بينما كرسا الليل لمناجاة الحبيب لحبيبته والتمتع بحياة الشباب دون لقاء أحد من الأصدقاء حيث يخشيان أن يضيع وقتهما في لقاءات وصداقات.

بعد مُضي عام علي الزواج رزقهما الله بطفل جميل الطلعة أطلق عليه الباشا اسم "عمرو". وأصبح للباشا حبيبين بالعزبة ابنته فلذة كبده وحفيده عمرو الذي يظل يلاعبه حتي يخلد الطفل لنومه هادئ البال لما حصل عليه من حب عميق سواء من والديه أو من جده.

لم يكن علاء ابن الباشا مُرحبا بزواج مصطفي من شقيقته شيرين وأعلن لوالده رفضه هذا منذ أول وهلة ثم أظهره بوضوح بسوء المعاملة لكلٌ من شقيقته وزوجها مما دفع بالعلاقة بينهم إلي الفتور والتباعد.

مضي عام علي مولد عمرو، جلس الباشا في حديقة القصر المشيد بداخل العزبة وطلب من شيرين بأن تترك له عمرو لفترة طويلة نظراً لمغادرته الفيوم عصر هذا اليوم لحضور جلسة هامة لمجلس النواب للنظر فيما قام به اليهود من اعتداء علي عرب فلسطين تحت حماية الإنجليز، أعقب هذا بضحكة رقيقة بأنه يتمنى أن يظل بجوار عمرو حتي آخر لحظة في حياته حتي يغادر الدنيا وهو يشاهد ويسمع حفيده.

أطل الحزن من عيون ابنته شيرين وهى تطلب من الله أن يطيل عمر والدها الحبيب الذي هو حاميها والمدافع عنها

ضد حالات الحمق الضيق عندما يهاجمها شقيقها علاء معلنا عن تبرمه بتلك الزيجة من فلاح معدم ليس من مقامهم الرفيع.

تركت شيرين وحيدها نائماً علي ساق جده الذي كان جالساً علي كرسي "هزاز" ينظر إلي حفيده بمنتهي السعادة والسرور والخضرة تحيط به من كل مكان، كانت شيرين تحادث صديقة أقبلت لزيارتها بعد عودتها من بلجيكا برفقة والدها سفير مصر بتلك الدولة.

من حين لآخر كانت تنظر بسعادة لعلاقة الجد بالحفيد كما ساورها شعور بالخوف من أن ينام والدها ويسقط عمرو علي حشائش الحديقة لكنها تراجعت راغبة في ألا تحرم والدها من حفيده مثل ما حرمه القدر من أمها وهي شابة يافعة وقد اقترب عمر والدها من الستين.

حادثت صديقتها بأنها تخشى علي والدها حيث أصيب ببعض الآلام في صدره منذ شهر ويشكو من حين لآخر بأثر "غزة" بالصدر وعرض نفسه علي الطبيب الذي أخبره بأن قلبه يشكو ضعفاً بأحدى عضلاته.

انهمكت الصديقتان في حوارهما وحديثهما العذب، لكن شيرين شعرت "بغزة" في القلب مثل والدها وبشيء

حزين أثر علي حُسن استماعها لصديقتها فاعتذرت لها بأنها ستتركها بضع دقائق لتشاهد وليدها ووالدها حيث سكن الإثنان ولم تعد تسمع صوت والدها الضاحك المرح يلاعب وليدها.

رافقتها الصديقة وأسفل الشمسية التي تظلل الجد والحفيد شاهدتا الحفيد باسماً ضاحكاً وممسكاً بإصبع جده يمتصه بينما الجد ساكناً هادئاً وخلد في نوم عميق، بهدوء ذكرت اسمُ الله علي وليدها وحملته برفق عن ساق جده، لكن الرضيع مجرد أن ترك إصبع الجد لازمه البكاء وشيرين تحاول تهدئته دون جدوى، أقبلت الدادة لحمل الطفل عن سيدتها لكن الشيء الذي لفت انتباه الصديقتين بأن الباشا مازالُ مستغرقا في نومه وترددتا هل تتركانه هكذا أم تقومان علي إيقاظه.

جاء القرار من ناظر العزبة بيومي افندى الذى أقبل طالباً من الباشا بعض البيانات الخاصة بالزراعة، لكن الباشا لم يجبه، توترت شيرين ونادت علي والدها فلم يجبها هزته برقة دون مجيب، أقبل ناظر العزبة ينادى الباشا دون مجيب، قام برفع جفن عينه ثم نظر إليها قائلاً: إنا لله وإن إليه راجعون.

سقطت شيرين أرضا في حالة من الإغماء كما انخرطت صديقتها فى البكاء وهى تحتضن صديقتها وانقلب حال العزبة

من حال إلى حال وأقبل مصطفي عليهم حين علم الخبر.

لقد انتقل رجل الشهامة والمروءة إلى العالم الآخـــــر وأقبل الأعيـان ورجـال الدولـة لتقـديم واجـب العـزاء فـي المغفـور لـه النحلاوى باشا وعدد الجميع مـآثر خُلقه مع النـاس حتـي فـي أصعب الظروف، انتهت ليلة العزاء بكل أحزانها وغادر الأحبة والأصدقاء العزبة بينما ساد الصمت الرهيب والذي ينبئ بشيء ما مقبلٌ في الأفق.

سُحب الشتاء القاتمة

مضت الأيام حزينة مؤلمة غير راغبة في الفكاك من بعضها البعض كشخص يسير في صحراء قاحلة ناعمة الرمال في يوم عاصف من أيام الخماسين القاسية، كان هذا هو حال من يقيمون بالعزبة، لكن الأثر النفسي كان أشد قسوة علي شيرين، فلقد أحست بمقدار فقد الأب الحبيب حيث كانت تسرح بأفكارها وخواطرها في ذكراه وتفكر فيما سوف تُقبل به الأيام القادمة فلكم عانت من شطحات شقيقها علاء وسوء تعامله مع الناس خاصة زوجها الذي كان يضمر له كل ضيق واحتقار وعدم مبالاة.

بعد وفاة الباشا نزع علاء عن مصطفى كل اختصاصاته حتي أصبح يقضي يومه قابعاً مع زوجته وابنه يأكل الحسرة والألم ويشرب حنضل التشفي من شقيق زوجته الذي سبق واظهر كراهيته له منذ أول يوم التقيا فيه وازداد هذا الشعور لديه بعد زواجه من شقيقته شيرين الذي كان رافضاً له بكل عنف.

ذات يوم أقبل ناظر العزبة لزيارة المهندس مصطفي وأبلغه بقرار علاء بأن ينتقل مع أسرته إلي منزله الذي كان

يستخدمه كإستراحة قبل زواجه من شيرين وترك الفيلا الكائنة بالمزرعة بعد وفاة الباشا.

رضخت الشقيقة لأمر شقيقها وقام العاملون بنقل الأمتعة الخاصة بهما إلي سكناه القديم المتواضع في إمكانياته بالمقارنة بالفيلا الرائعة، تبعها مصطفي صاغراً، بعد أن هدأت أحوالهما واستقرا تحدث مصطفي مع زوجته بما يعتمل بنفسه:

ـ شيرين ، معدش لنا عيش هنا، نظرت إليه بدهشة تحدثة:

ـ ليه بتقول كده؟

ـ علاء مش حيسبنا في حالنا.

طفرت الدموع من عيونها الجميلة واقتربت منه محتضنة إياه فشعرت بقلبه يبتعد عن قلبها، لقد كان ُمشتت الفكر والعقل بل كاد قلبه أن يتوقف عن النبض، نظرت إليه خائفة وحركت رأسه حتي تتلاقي عيونهما متسائلة عما يشعر به؟

لم يجبها لكن الإجابة جاءت سريعة بطرقات مزعجة علي باب الاستراحة، نهض مصطفي وفتح الباب فشاهد علاء واقفاً أمامه والشرر يتطاير من عينيه، تحدث علاء مع شقيقته بلهجة جافة أبعد ما تكون عن العلاقة بين أشقاء وأمر إياها بأن تتخير بين أمرين لا ثالث لهما قائلاً:

شـيرين، عليـك الاختيـار بـأن تظلـي تعيشـين مـع هـذا "الهمجـي" أو تنفصـلي عنـه، فـإذا رغبـتِ بالبقـاء معـه فعليكمـا مغادرة المكـان فـوراً ولا تعودى إلـي العزبـة مـرة ثانيـة، أمامك يومان.

حاول مصطفي التحدث معه لكنه أشار إليه بألا يفتح فاه معلقاً:

ـ حتي أنت يا ابن الفلاحين عايز تناقشني، معدشـى قدامك غير أنـك تسـيب العزبـة وإلا ح تـدوق طعـم الأذيـة وح تنـدم لأنـك صاهرت الباشاوات وجوزت من بنات العائلات.

غضب مصطفي ولم يصمت وحادثه بنفس طريقته.

ـ لا يغرنك مالك أو مركزك، فنحن سواسية أمام الله ولا تزيد أو تتطاول على الشرفاء، رفع علاء يده محـاولاً صـفع الزوج لكن مصطفي أمسكها ومنعه قائلاً:

لولا إنك شقيق شيرين وابن الراحل العزيز لرددت عليك أهانتك ولعرفتك قيمتك بين هؤلاء الفلاحين المقهورين.

صرخت شيرين فـي شقيقها طالبـة منـه مغـادرة المكـان وألا ينسـي نفسـه وعليـه أن يعلم بـأن لهـا نصـيب فـي هذا المكـان، لـم يجبهـا عـلاء بـل صـرخ منـاديـا رجالـه فأقبـل بعض أعوانـه مـن خارج العزبـة والتـي أتـي بهم لإذلال العـاملين والفلاحين، أشـار

إليهم قائلاً:

- خدوا الكلب ده بره العزبة وعلموه إزاي يتعامل مع أسياده.

لم يكمل الرجل حديثه وشاهدت شيرين قبل حالة الإغماء التي انتابتها أتباع شقيقها يلكمون زوجها ويوسعونه ضرباً وركلاً بين محاولاته التي أبداها للدفاع عن نفسه ورد ضرباتهم لكنهم كانوا أكثر منه قوة لزيادة عددهم الذي تجاوز الخمسة رجال.

سقط الرجل مضرجا فى دمائه وأقبل ناظر العزبة الذى استنكر فعلة علاء مما دفعه إلى توجيه السباب له وأمر بطرده هو وأسرته خارج العزبة.

سقطت شيرين أرضا تدعو الله أن ينتقم من شقيقها الظالم الذي لم يحافظ علي ذكري الأب الفقيد وعلي علاقة المصاهرة دخلت في إغماءة حاولت الدادة أن تفيقها فسبها الشقيق طالبا منها تركها حتي تنتهي حياتها ليتخلص من ذلك العار الذي أصاب العائلة من هذا النسب المتدني.

***

حمل أعوان علاء المهندس مصطفي مضرجاً بدمائه وأيقنوا أنه هالك لا محالة وما الموقف الآن؟ تشاوروا فيما بينهم

البعض أقر فعلة علاء الذي يغدق عليهم المال بينما تخوف البعض أن يلفظ مصطفي أنفاسه ويُلقي القبض عليهم ولن تتركهم زوجته فهي شقيقة علاء ولها نصيب في العزبة مما دفع باثنين منهم للمغادرة وترك العمل الإجرامي الذي يقومون به.

حمله كلٌ من "شندي وعتمان وعودة" إلي السيارة وغادروا العزبة مقررين التخلص منه وأفاد أحدهم وهو قريب الصلة من علاء بأن البيه نسيب حكمدار القاهرة والذي سيقوم بحماية زوج ابنته.

اقترب المجرمون من مدينة الجيزة وعرض عليهم أحدهم بأن يلقوا به في النيل ليصبح في عداد الغرقى التي تتحدث عنهم الصحف نظرا لارتفاع منسوب مياه النيل مع شدة التيار بسبب الفيضان الجارف للنهر ونحن في ظلمة الليل ولن يرانا أحد إبتسم أحدهم قائلاً:

سوف يرانا الله! ضحكوا من كلمته طالبين منه أن يتجه لمسجد الحسين يقرأ القرآن بدلا من مصاحبتهما.

اقتربوا من منطقة ما اعتقاداً منهم بأنها عميقة وبسرعة ألقوا بجثة الرجل في مياه النيل وسمعوا صوت ارتطامه بالماء رغبوا في الجلوس فترة كي يتأكدوا بأن المياه جرفته إلي العمق

لكنهم سمعوا أصوات بعض الصيادين تسأل من هناك؟ أسرعوا بالفرار بينما أقبل الصيادون لتحري الأمر فشاهدوا الرجل ملقي بالمياه الداكنة وقد منعت الحشائش علي جانب الشط تيار المياه من أن يجرفه كما أن المنطقة كانت ضحلة ويمكن السير عليها بالأقدام وقد غطت مياه الفيضان الأرض التي لم تكن عميقة.

أسرع الرجال بإخراج الرجل من المياه وعملوا علي إفاقته حيث كان في غيبوبة كاملة نظراً لما ناله من الضرب والأذى علي يد زبانية علاء، تشاوروا فيما بينهم وما هم فاعلين به؟ هل يبلغون الشرطة أو يحملونه إلي دورهم لعلاجه والعمل علي إسعافه، قرروا حمله لأقرب بيت من بيوت الصيادين.

فوجئ من في الدار بعودة الرجال قبل موعد إنتهاء سرحتهم يحملون جثة رجل مضرج بدمائه، فزعت النساء بالدار وأضيئت اللمبات الجاز وأقبلوا علي المصاب وأبدل الرجال ملابسه بملابس جافة وقامت فتاة شابه بإسعافه من الجروح التي أثخنت جسده بوضع ضمادات عليها عبارة عن قطع قماش جافة ووضعت عليها بعض المراهم التي يعالجون بها أبناءهم.

طلب الرجال من النساء مراعاة الرجل حتي الإنتهاء من

أعمالهم وبعد عودتهم في الصباح سيتوجهون به إلي الشرطة لإبلاغها بما حدث له لمحاولة القبض علي الجناة.

بعد مضى عدة ساعات استفاق مصطفي فشاهد جمعاً من السيدات حوله وهن يلتحفن بملابس سوداء، إعتراه إحساس بالخوف بأنه في مأتم واحتمال أن علاء قد أصاب زوجته وطفله بسوء، فهو يعلم أن هذه من عادات بلدته بأن تجمع النسوة بتلك الملابس دليل علي الحزن.

غادرت السيدات الحجرة بعد أن أطمأنت قلوبهن بأن المصاب عاد إلي رشده بينما ظلت فتاة شابة جالسة ترتدى ملابس ملونة مما ساعده أن يعود الهدوء إلي نفسه بعد خوف واضطراب، لما أحست بعودته إلى رشده أقبلت عليه باسمة المحيا تسأله:

ـ تشرب شاي وإلا أجبلك أكل؟

بصوت واهن ضعيف أجابها:

ـ يا ريت شوية شاي، إنفرج ثغرها الجميل عن ابتسامة مضيئة ونهضت تكمل حديثها:

ـ من عينيا، لو طلبت عيوني أجبهم لك علي طبج.

أسعده حديثها مما دفعه لمحاولة النهوض والجلوس بينما

عادت الفتاة حاملة علي يديها "شاليه مصنوعة من الفخار" ووضعت عليها بعض "القوالح" الجافة وأشعلتها باستخدام عود كبريت مع بعض أوراق صحف جافة أحضرتها لهذا الغرض ومن حين لآخر تقوم بنفخات قصيرة هادئة والنار تستجيب لها.

اشتعلت "الشاليه" وأضاءت المكان أكثر فأكثر وأضفت البهجة علي قلبه والدفء إلي صدره فساعدت علي أن تغادر جسده البرودة الناتجة من بلل ملابسه بالمياه وأيضا آثار الضرب المبرح من رجال علاء النحلاوى.

وضعت الفتاة إناء الشاي الأسمر اللون من كثرة استخدامه فوق النار المباشرة "للشاليه" ووضعت الماء بداخله منُ قلة مجاورة لها وأعقبتها بأن وضعت السكر على راحة يدها وأفرغته بعدها بالبراد ثم تلت ذلك بالشاي الجاف وبنفس الأسلوب جلست تنظر إليه ومازالت البسمة الوضاءة التي حباها بها الله لم تفارقها، سألته بطيبة قلب:

- إسمك إيه؟ بكلمات مختصرة

- مصطفي

- عاشت الأسامي يا سي مصطفي، منور الدار وأخواتي دايما يصطادوا من البحر السمك المشط والجراميط لكن أول مرة

يصطادوا ملاك؛ ابتسمت وسترت فمها بالطرحة الخفيفة ذات اللون الأخضر الفاتح، علق علي ثنائها ومديحها بعد أن ظهرت الابتسامة علي وجهه.

- ربنا يخليكِ، أنتم باين عليكم ناس ولاد حلال

- والنبي أنت اللي أبن حلال، باين عليك راجل محترم وابن مدارس حديتك بيجول كده.

- كلامك صحيح، أنا مهندس زراعي، دقت بيدها علي صدرها

- مهندز!! ياه دا أنت راجل عليوى خالص، طيب إيه اللي رماك في النيل؟ أوعي تجول أن مرتك هيا اللي عملت فيك كده لأنك صغير ولسه مدخلتش دنيا.

- أنتِ إسمك إيه؟

- خدامتك روايح.

- الله، إسمك حلو خالص كمان أنتِ حلوه وجميله.

ضحكت بسعادة وخجل ووضعت حرف الطرحة علي فمها.

- كلامك حلو وشكلك حلو، تعرف إني لسه بنت، يا دوب كملت تمنتاشر سنه والواد عوف اللي شغال مع أخواتي طلبني للجواز بس أنا مليش غرض فيه.

- ليه .. فقير؟

ـ فجير إيه؟ ما إحنا كلتنا فجرا، لكنه معفن ودايما الطين بين صوابع رجليه من المشي حافي علي الجسر وميفكرش يغسل رجله إلا لما يتوضي، أصل أنا بأحب الناس النضيفه الحلوة، يا سلام لما بأشوف التصاوير وأشوف الراجل الحليوه جوز الست ليلي مراد، تعرفه؟ سي أنور وجدي وأجول في نفسي ربنا يبعتلك يا روايح راجل حلو زيه، وإلا كده عيب؟

ـ عيب ليه؟ ده حقك.

ـ تعرف ياسي مصطفي، أنت فيك شبه كبير من سي أنور وجدي، عارف كده؟

أبتسمت لحديثها البرئ، ملأت رائحة الشاي أنفه فرفعت روايح البراد من فوق الشَّالية وصبت له كوباً وشاهد تصاعد الأبخرة المنبعثة من الكوب بالقرب من فمه وحصل علي أول رشفة فنظر إليها بسعادة بالغة قائلاً:

ـ ده مش شاي!! صمتت وأصابها الضيق لكنه أكمل:

ده شربات!!

أسعدها مديحه وازدادت بهجتها ورقتها وأقبلت أمها فشاهدت مصطفي جالساً يحتسي الشاي فظهرت الفرحة علي وجهها قائلة:

ـ حمد الله بالسلامة يا ابني، أنا عارفه أن البت روايح ما بطلتشي حديت وياك، كفاك كده يا روايح خلي الجدع يستريح قاطعها مصطفي قائلا :

ـ لو مش مضايقين سيبيها تفضل تكلمني علشان أفك من الأزمة اللي صابتني النهاردة؛ غادرت الحجرة ومازالت تتحدث:

ـ بخاطرك يا دي الجدع

ظلت روايح تُحدث مصطفي ومازال ينظر إليها يُشاهدها وشعر بالبهجة والانشراح محاولا نسيان ما آلمه خلال هذا اليوم الدامي، من حين لآخر كانت تهاجمه ذكري زوجته الحبيبة وصغيره "عمرو" الذي أتم عامه الأول وتعاوده مشاهداته حينما يحرك يديه الصغيرتين في الهواء لعله يمسك بأي شيء يلعب به أو يضعه في فمه مباشرة، شعر بأن النوم هاجمه فوضع كوب الشاي جانباً بعد أن فرغ من تناوله وعاد برأسه للخلف فصمتت روايح عن حديثها ذو الروائح الجميلة وعدلت من وضع رأسه علي المخدة وخفضت ضوء اللمبة وحملت الشاليه وغادرت الحجرة وأغلقت الباب خلفها.

أحـــزان شـــيرين

أرسل علاء في طلب الطبيب الخاص بالعائلة لرعاية شقيقته "شيرين" حضر الطبيب وبعد أن قام بفحصها تبين له بأن السيدة تعرضت لضغط عصبي شديد أدي إلي حالة من الغيبوبة أو الإغماء المؤقت الذي أصابها، طلب من شقيقها إيضاحاً لهذا ناوره في الإجابة محاولا الهرب.

كان لهذا الطبيب من الحب والتقدير الكثير لدي العائلة فهو طبيبهم الخاص منذ عقود طويلة كما أنه صديق للنحلاوي باشا والد علاء، نظر إليه نظرة جادة فأفصح له علاء بما تم مع زوجها، أستنكر الطبي تصرفه مما أغضب علاء الذي وجه له حديثه بأنه استدعاه للعلاج وليس لإبداء النصح والإرشاد.

غضب الطبيب منه ومن حديثه وذكره بأن تصرفه هذا سوف يعود عليه بالضرر وما الزواج أو المصاهرة بالشكل والمظهر والمنصب ولكن بالخلق ورجولة الرجال، لقد وافق أباك أن يزوجه أبنته الوحيدة.

أراد علاء الحديث لكن الطبيب أشار إليه بالصمت فأمتثل لهذا، قرر الطبيب أن شيرين تحتاج مهدئاً وأعطـــاها أمبول

بالعضل كي يعمل لأن تعود لحالتها وأعطي الدادة تعليماته بما يجب عليها أن تقوم به حتي تستطيع أن تعود لحالتها محذرا علاء بأنه إذا عمل علي توترها فسوف تزداد الحالة سوءا عن هذا الوضع ولهذا فهو يحمله كل المسئولية، غادر المكان بعد أن رمق علاء بنظرة حادة قائلاً:

ـ حاول علاج ما أفسده تفكيرك العقيم.

أصاب علاء الذهول من قول الطبيب الذي غادر المكان قبل أن ينتبه لتلك الكلمة الصاعقة أمام الدادة والخادمة.

اليوم التالي تنبهت "شيرين" ونظرت حولها مستفسرة من الدادة عما أصاب زوجها ووالد أبنها، كانت الدادة حليمة الخلق هادئة الطباع مع كبر سنها وخبرتها بالكثير فيما يحدث داخل العائلات من مشاكل.

أجابتها بابتسامة مصطنعة:

سيدتي كل شيء سيعود لأصله وما عليك سوي الاهتمام بنفسك وبعمرو بيه، فهو في احتياج إلي رعايتك ومازال رضيعا يحتاج كل حنان وقطرة لبن منك حتي يشب رجلاً قويا أما بخصوص مصطفي بك فهو الآن في أمان وقد أصطحبه معاونو علاء بك إلي خارج المزرعة حتي لا تزيد بينهما

المشاكل وهم رجال يعلمون بأنها زوبعة سوف تنتهي بعد أيام يعود بعدها لعائلته.

نظرت إليها شيرين محاولة تصديق حديثها لكن قلبها ينبئها بأنه حديث رقيق للتهدئة ليس إلا، طلبت شيرين من الدادة بألا تسمح لشقيقها علاء بزيارتها وأنها غير راغبة في مشاهدته بعد ما حدث مع زوجها ووالد أبنها.

انتشر الخبر في العزبة بين جموع الفلاحين بأن علاء بك أعتدي ضربا وسباً علي زوج شقيقته ودُهش الناس من هذا وأوكلوا تصرفه هذا لرغبته في الاستئثار بميراث والده تضاربت الآراء وكان الحكم النهائي عليه بأنه رجلٌ ظالم قاس كما أن مصطفي بك رجلٌ فاضل متواضع رقيق، أما عن النساء فقد أبكاهن ما حدث لحبيبتهن شيرين ابنة الراحلة "نازك" هانم التي برحمتها وقلبها الطيب عطفت علي كل نساء العزبة وتناقلها القوم جيلاً بعد جيل.

شعرت شيرين بأن المستقبل أصبح مُظلما أمامها دون وجود الحبيب والأنيس والزوج الذي لاقي أسوأ معاملة وكل هذا كان بسببها فلو لم يتزوجها لما ُقوبل بمثل هذا الفعل من شقيقها الأهوج علاء، بعد قليل أخبرتها الدادة بقدوم "صافيناز هانم"

زوجة شقيقها علاء.

أقبلت "صافيناز" علي شيرين وقد سبقتها دموعها حُزنا علي تصرف زوجها، انحنت وقبلت شيرين التى أجهشت بالبكاء وصافيناز تحتضنها مُربتة علي صدرها بألا تقنط من رحمة الله وما هي إلا سحابة صيف لن تدوم وستعود المياه إلي مجاريها.

حبيبتي شيرين: عندما علمت بالخبر أمس قاطعت زوجي حديثا وطعاما وعلاقة زوجية، إنه رجل قاس القلب كى يتصرف بتلك الحماقة المذهلة ولا يقدر للأمور عاقبتها.

فجأة شاهدت المرأتان علاء يقف أمامهما علي باب الحجرة وينظر إلي زوجته نظرة نارية، بادلت نظراته بمثلها وأخبرته بكلمات مختصرة:

علاء إني راغبة في الانفصال وسوف أغادر العزبة مع أطفالي وعليك أن ترسل لي بورقة الطلاق ولا أريد أن أراك بعد هذا اليوم، بئس ما فعلت وبئس خلق من تزوجت.

صرخ بها، أشارت إليه بأصبع السبابة محذرة، لا تنسي نفسك وتصيبك النشوة من فعلتك فكما افتريت علي مصطفي ذى الخلق المهذب حبيب شيرين فتذكر قدرة الله عليك وتذكر

بأن أبي سوف يضعك بالسجن لا تغادره أبدا، أرتد علاء للخلف وهمدت غضبته وانقلبت سحنته بابتسامة مفتعلة مشيداً بها وبوالدها شخصيا.

سألته : لماذا لم تقل هذا لزوج شقيقتك؟ أمن أجل أنه موظف صغير رقيق الحال من أبناء هذا الشعب الطيب، ألم تتعلم من أونكل عبدالغفار خُلقه وسلوكه حتي مع أصغر عامل لديه في العزبة؟ ألم تتعلم من نازك هانم والدتك رقة شعورها حيث كنت أشاهدها تأتي لزيارة أمي وتتحدث معها بكل حديث طيب المعني والأثر، دوام الحال من المحال.

نهضت وقبلت شيرين مغادرة المكان وأعادت إشارتها لزوجها :

ـ بكره توصلني ورقة الطلاق وكل حي يروح لحاله، خليك أجري ورا الفلوس وشوف نهايتك حتكون إزاي.

حاول الحديث لكنها لم تترك له الفرصة وأسرعت بالعدو وغادرت الاستراحة المتواضعة، وقف علاء قليلاً ثم نظر إلي شقيقته مؤنبا بأن كل ما حدث وسوف يحدث بسببك أنت، عليك اللعنة وعلي الغبي التي ارتبطت به كل لعنات الدنيا.

غادر الحجرة محاولا تتبع زوجته لكن الخادمة أقبلت تزف

خبراً بأن "صافيناز هانم" استقلت سيارتها يقودها سائقها وبصحبتها طفليها مغادرة العزبة إلي منزل والدها اللواء حمدي.

نظرت شيرين أرضا وانتابها الحزن والفرح، الحزن لما أصابها والفرح بأن الله أراد أن يذيق شقيقها من نفس الكأس وفي اليوم التالي مباشرة، إن ربك بالمرصاد، وكما قالتها صافيناز "داين تدان ودوام الحال من المحال.

أقبلت الدادة حاملة "الرضيع عمرو" وبمجرد أن شاهدته شيرين انتعشت وانفرجت شفتاها بابتسامة عريضة أضاءت أركان الحجرة وانعكس هذا علي كلّ من الدادة والخادمة، ألقي الصغير بجسده الهزيل علي صدر أمه باحثا عن طعامه بينما انهمكت شيرين في تقبيله ومداعبته وقد انهمك عن كل هذا فى طلب طعامه الإلهي، أخرجت ثديها فأمسك به ووضعه بفمه ولم يتركه حتي غلفه العرق وخمدت حركته سكونا من السعادة التي حصل عليها سواء من طعامه أو من حنان أمه.

***

منتصف الليل دق جرس التليفون في الفيلا ورفع علاء السماعة معتقداً بأن صهره اللواء حمدي علي الجانب الآخر

كان المتحدث اليوزباشي حسين مدير مكتبه طالبا منه بصورة شبه آمره بالمثول في مكتب سعادة الباشا اللواء حمدي قبل الثانية عشر غداً للأهمية، مكرراً الأمر وزيله بكلمات قصيرة مع عدم التأخير لمصلحتك الشخصية.

سقط علاء علي الكرسي المجاور له من شدة الإهانة التي لحقت به محدثا نفسه بأن هذا الضابط يحدثه بتلك الطريقة الجافة كأنه يعمل تحت إمرته، ألا يعلم هذا الغبي بأني بك ابن باشا، ألا يتذكر هذا الضابط حينما كنت أتوجه لمكتب الحكمدار ينهض مُسرعاً مرحبا ليفتح لي باب السيارة ثم يتبعني ويقوم بفتح باب المكتب ويقف ذليلاً ينتظر ما أطلبه من شراب؟ ألم ينس هذا الرجل بأنه كان يجد في أثري مودعاً حتي باب السيارة ويقوم نيابة عن السائق بفتح بابها مودعاً مؤديا التحية العسكرية إلي أن أغادر مبني الحكمدار.

جلس قليلا ولم يستوعب ما سمعه من مدير مكتب الحكمدار محاولاً الوصول إلي السبب الذي جعل هذا الضابط يحادثه بتلك الطريقة البعيدة عن كل احترام وذوق، تنبه بأن زوجته وصلت إلي منزل والدها وأبلغته برغبتها في الطلاق ومن المؤكد أنها ذكرت له ما حدث بيني وبين هذا الهلفوت زوج شيرين، اللعنة

عليك يا شيرين فلقد أتيتِ برجل وضيع حمل إلينا كل المشاكل التي لن تنتهي وبدأت أولي فصولها هذا المساء.

قرر علاء عدم التوجه لمكتب الحكمدار في الصباح حسب الموعد المحدد وليفعل الحكمدار ما يفعله، فهو نائب في البرلمان عن الدائرة التي خلت بوفاة والده ولن يستطيع الحكمدار أن يلمس شعرة واحدة منه بل يستطيع أن يدفع بوزير الداخلية لأن يحيل هذا الحكمدار إلي المعاش ليجلس بجوار ابنته الرعناء التي تعشق الحثالة من أبناء الشعب المصرى مثل شيرين شقيقته، إن كل النساء سواء في قلة العقل وعدم المسئولية.

لم يستطع علاء في تلك الليلة أن ينام، فقد أرسل الله له بمن ينكد عليه حياته مثل ما فعل مساء أمس مع شقيقته وزوجها سمع آذان الفجر فنهض محاولاً التقرب إلي الله بصلاة مزيفة غير خالصة لكن الله يعلم ما في القلوب، لم يفعلها من قبل ولو اعتاد أن يقوم بها قبل ذلك ما اندفع بسلوكه الطائش ضد زوج شقيقته.

تساءل علاء : أين مصطفي الآن فلم يعد المعاونون لى حتي الآن كي يخبرونى بما تم مع هذا الجلف المتخلف الذى شعر

بأنه أصبح ذو قيمة بعد تخرجه من مدرسة الزراعة العليا راغباً بأن يناطح أبناء الباشاوات مستواهم واستطاع إقناع أبي بزواجه من شيرين بعد أن أسمعه بعض الكلمات المعسولة فخضع لرغبته ورغبة شيرين المندفعة إلي إتمام زواجهما رغم اعتراضي الشديد وعدم حضوري حفل زواجهما.

ظهر ضياء الشمس واضحا في الأفق ولم يدر علاء سوي أنه ارتدي ملابسه طالبا حضور السائق بالعربة الأخرى وأمره بالتوجه به إلي القاهرة، بعد مضى ساعة ونصف أو يزيد وأثناء الطريق حاول علاء العثور علي قرار بخصوص زوجته ووالدها، لم يتوصل إلي أى قرار نهائي بما سوف يقوله لوالد زوجته، فى النهاية قرر أنه سوف يوجه لوالدها رسالة شديدة اللهجة تدفعه لأن يعيد ابنته إلي العزبة رغم أنفها وإلا فعليه أن يتحمل تصرفاتها النابعة من شدة تدليله لها حتي عصت زوجها طالبة الانفصال دون أن يصدر منه أي شيء يسيء إليها، لأن ما حدث شأن خاص مع شقيقتي وزوجها ولا دخل لها في هذا.

أمام مديرية الأمن أوقف الحرس سيارة علاء ولم يسمحوا له بالدخول إلي داخل المبني بالسيارة كالمعتاد، بل طلب منه رئيس الحرس الخارجي بالانتظار في الاستراحة المخصصة

للعامة حتي ينتهي سعادة الباشا من أعماله.

حاول الاعتراض وبأنه عضو بمجلس النواب فابتسم له رئيس الحرس موضحاً بأن كل ما تقوله اعلمه لكن هذه هي الأوامر وعليك أن تعلم بأن عدم تنفيذها سوف يعرضنا جميعا للعقاب وإذا كنت في ضيق من الانتظار فيمكنك التوجه لقهوة عزوز بالحارة الخلفية والجلوس بها حتي ينتهي الباشا من أعماله الأميرية ونرسل لك بجندى طالبا منك الحضور.

جلس علاء بالاستراحة مرغماً متوتراً مصمماً علي أن يأخذ حقه من هذا الحكمدار الذي تعدي عليه وعلي كرامته ولتذهب ابنته إلي الجحيم وسوف يتزوج ابنة "نسيم بك الأسيوطي" من أعيان أسيوط وزمام أرضه لا يقل عن زمام عزبة النحلاوى وله ابنه وحيدة فلم ينجب سواها بسبب إصابته في حادث سقوطه من فوق حصانه فأثر عليه وجعله عقيما.

بعد مُضي ساعة ونصف علي موعده مع الباشا جاءه أحد الجنود يخبره بالتوجه إلي مكتب مدير مكتب الباشا، سار خلف الجندي يهذى مما حدث له وشعر بأنه سوف يسقط أرضاً من فرط توتره بل وشعر بأنه سوف يخنق هذا اليوزباشي الذي أذل كرامته وكبرياءه، تمني لو أنه أحضر مسدسه لأفرغ رصاصته

في قلب هذا الضابط الذي دخل عليه المكتب فشاهده يتحدث في التليفون فأشار إليه بالجلوس وظل يحادث شخصا علي الجانب الآخر في حديث شخصي تافه لا يمت للعمل بصلة.

طلب الضابط من حارسه أن يحضر له فنجانا من القهوة وأشار إلي علاء بيده وهو مشغول بأوراق أمامه محدثا الجندي (شوف الأفندي يشرب إيه) كاد علاء أن يصرخ فيه بل يقفز عليه فوق مكتبه قاطعاً رقبته بسكين فتح الأوراق لكنه تماسك ولم يطلب شيئا، نهض الضابط واتجه إلي باب المكتب محدثا زميلاً آخر ببعض الأمور التافه التي لا تفيد العمل، تساءل علاء ـ مش فيه معاد مع الباشا؟ بقليل من الاهتمام أجابه:

ـ ايوه فيه ميعاد ولما الباشا يصرح ح تقابله.

دقت الساعة الثانية بعد الظهر وجاء تليفون لمدير المكتب يطالبه فيه بأن يدخل علاء النحلاوى لمكتبه، نظر الضابط يمينا ويساراً يتفرس في الحجرة ويتساءل:

ـ أللي اسمه علاء النحلاوى يقف علشان الباشا ح يقابله، كاد علاء أن يصيبه الجنون، نهض واقفا فأشار إليه الضابط بما يعني اتبعني، سار علاء خلف الضابط حتي دخل المكتب الضخم الكبير وهنا أدي الضابط التحية العسكرية بكل اهتمام

صائحاً.

ـ تمام يا سعادة الباشا : المواطن علاء النحلاوى في خدمة سيادتك.

شكره القائد طالبا منه الانتظار في مكتبه، ظل علاء واقفاً منتظراً الإذن بالجلوس بينما الرجل ينظر إليه وقد التصق حاجبيه الكثيفين وهذا مدلوله لمن يعرفه بأن هذا يوم كئيب ونحس، بادره بالحديث:

ـ صافيناز هانم طلبت منك أنك تبعت لها ورقة الطلاق حصل؟

ـ ايوه يا ساعات الباشا بس... "مقاطعا"

ـ ما فيش بس، كل واحد يروح لحاله وأنا معرفتش أختار لبنتي لكن حبي لعبدالغفار باشا الله يرحمه خلاني أوافق على جوازها منك رغم إني أعرف إنك مندفع ومتهور زي التور الهايج.

لم يستطع علاء الحديث فقد سقطت عليه تلك الكلمات الموجعة فجعلته يتوجه للجلوس علي أقرب كرسي لكن الرجل صرخ به طالبا منه الوقوف قائلاً:

ـ هو ده مكتب أبوك، روح دلوقتي وجهز الأوراق اللي طلبتها صافيناز هانم.

غادر المكتب وبعد قليل أقبل مدير مكتبه يعلن بأن علاء بك

سقط علي الأرض مغشيا عليه، وقف الرجل سعيداً وطلب من مدير مكتبه وقف التمثيلية حيث أتت أكلها طالبا منه ومن المعاونين تقديم يد المساعدة له والاحترام الواجب فقد وصلت الرسالة التي كنت أبغي وصولها.

حضر الأطباء بالمبني وقاموا بعلاج الخدوش والكدمات التي أصابت علاء، عاد بعدها برفقة سائقه يهذي حتي وصل إلي الفيوم وهناك بالعزبة أرسل أحد معاونيه لإحضار المأذون أسرع الرجل بتنفيذ تعليمات سيده بينما ألقي علاء بجسده علي السرير يتفصد منه العرق الغزير وراح في إغماءة طويلة لم يفلح أحد في إيقاظه منها بل لم يعلم بأن المأذون قد حضر.

أسرعوا بإحضار الدكتور وديع حبيب الذي أتي مسرعا متخوفاً بأن تكون "شيرين" قد أصابتها وعكة أخري لكنه فوجئ بعلاء مستلق علي السرير بملابسه والعرق يغطي جسده ويتفصد غزيرا من جبينه؛ حاول إفاقته دون جدوى.

استفسر عما حدث له هذا اليوم، أفاد سائقه بأنه توجه به اليوم للقاء حمدي باشا نسيبه وغادر المكتب ووقع علي السلم مغشيا عليه وأصابته الهلوسة طوال الطريق.

حقنه الرجل بمهدئ بعدها توجه لمكتب الإدارة بالعزبة وقام

بالاتصال باللواء حمدي الذي أجابه من الجهة الأخرى موضحا له بأنه أراد أن يلقنه درساً نظير ما فعله بزوج شقيقته هذا الشاب الرقيق الذي لم يجد سنداً يقف معه أمام جبروت علاء فأردت أن أخبره بأن الله لا ينسي عباده ويسلط أقواما تنتقم لأقوام والحصول علي حقوقهم المغتصبة.

تفهم الطبيب ما حدث وشكر الرجل الذي طالبه بألا يخبر زوج ابنته بأي شيء حتي يتماثل للشفاء ووعده بهذا، عاد الطبيب وهو في دهشة من سرعة رد الفعل وسرعة الانتقام من جبروت علاء ضد زوج شقيقته، قام الطبيب بواجبه حتي استفاق علاء فشاهد الطبيب بجواره فبكي لما حدث له وأخبره بأنه قد أصابته اهانة لن تُمحي من ذاكرته أبدا، هدأ الطبيب من خاطره وأخبره بأن هناك شخصاً آخر حدثت له اهانة لن تمحى من ذاكرته أبدا، تضايق علاء مشيرا بيده " قائلاً:

ـ هو ده من مقامي ولا من مستواي" ضرب الطبيب كفا بكف وغادر الحجرة مرددا: مافيش فايدة فيك يا علاء يا ابن النحلاوى.

صِبح الصبـاح محـلاه

سـمع مصـطفي أصـوات الـديوك مُعلنـة صـباح يـوم جديـد وأعقبها لغط لأصوات الجيران فـي المنطقـة التـي يجهلها تماما حتي أنه لم يشاهدها لظلمة الليل وشدة إصابته، شم رائحة دخان وهذا يوضح له أن البعض قد نهض يُعد طعام الأبناء استعدادا ليوم جديد، نظر إلـي جسده وهالتـه الإصـابات التـي استطاع أن يشاهدها دون مرآة وتخوف بـأن تكون الإصـابات أكثر وأعمق من ذلك.

بعد قليل سمع صوت ضربات باليد علـي بـاب الحجـرة فاعتدل فى جلسته فوق الحصيرة التي كان ينام عليها والمغطـاة بلحـاف مصـنوع مـن القطـن ليريحـه فـي رقدتـه هـذه، أعقـب الطرقـات فـتح البـاب فشـاهد روائـح ببشـرتها الجميلـة الناعمـة وبسمتها الرقيقة الحالمة، أقبلت عليـه تسبقها روائحها الطبيعيـة التي نفحها الله لها تحدثه :

ـ صـباح الخيـر، يـا تـري البـاش مهنـدز عَفـي اليـوم وإلا لسـه مخربط؟ أضحكه تعبير "مخربط"

ـ أجابها : بخير والخربطـة راح منها شوية، إيـه اللـي مصـحيكِ بدري؟

- بنجهز الوَكل لاخواتي يتجوتوا علشان طالعين البحر النهاردة والفيضان عامل عمايله.

غادرته وبعد قليل أقبلت تحمل كوباً من اللبن الحليب الساخن المحلي بالسكر، جلست تحادثه بعفوية مطلقه وظل يستمع إليها وراوده شعور بالراحة من تلك البراءة التي يتحلي بها هؤلاء القوم البسطاء.

بعد قليل أقبل عليه ثلاثة رجال بوجوه مكفهرة غابرة وألقوا عليه تحيتهم وعرفوه بأنفسهم.

- أهلا وسهلا بالأستاذ، محسوبك أبو الليل واللي ريحي علي طول خربوش أخويا واللي بعده أبو الشوك أخويا برضه والبت الصغيرة اللي كل شويه تفطلك تبجي روايح اختي، البت روايح بتجول إنك إسمك مصطفي وبتشتغل مهندز، صحيح الحديت ده؟

- ايوه .. انا قلتلها الكلام ده امبارح لما سألتني، والحقيقة أنا بأشكركم علي اللي عملتوه معايا ولو مكنتوش لحقتوني كنت غرقت في النيل خصوصا انا ما أعرفشى أعوم، الحمد لله علي كل حال وأنا عايز أمشي وأشوف لي حته أعيش فيها.

تحدث كبيرهم أبو الليل قائلاً:

ـ عيب الحديت ده يا أستاذ، تروح فين وتيجي منين؟ خليك معانا لحد ما ربنا يفرجها، هو أنت ملكش جرايب؟

ـ طبعا ليا، أهلي موجودين بالشرقية وكلهم أخوات كبار لأني الصغير فيهم وأبويا وأمي قابلوا ربنا من كام سنه لكن الحكاية انا خايف من الراجل المؤذي اللي عمل فيا العملة دية لأنه ممكن يوصي راجل كبير في البوليس ويقبض عليّ ويدخلني السجن وأنا والله ما عملت حاجه لكن حنقول إيه علي الظلم.

تناول الرجال طعام الإفطار وتبادلوا الأحاديث الطيبة التي يتخللها الشكر لله علي نعمته عليهم وخلال ذلك خرجت من البعض منهم قفشات وتعبيرات مرحة والتي ادخلت البهجة والسرور علي الرجال مما دفع بالشاب المصاب إلي الابتسام وانطلقت منه بعض الضحكات فأسعدت قلبه الجريح وقللت من ألام جسده المصاب.

بعد مُضي يومين علي هذا الحادث شعر مصطفي أنه لا يستطيع السير بسهولة وكان يعرج أثناء محاولة السير، شعر بآلام قوية في مفصل قدمه اليسرى، رفع الغطاء عنها فشاهد ورما كبيرا بساقه، حزن القوم لهذا وأسرع أحدهم بإحضار "عودة" ألمجبراتي الذي يعيش في القرية، قام عوده بفحصه

وأخبرهم بأن "كاحله" الأيسر كسر من ضربة شومة عليها قام الرجل بتجبير كاحله ووضع عليها جبيرة طالبا منه عدم السير عليها لمدة ثلاثة أسابيع.

ظل مصطفي ملازماً حجرته ومن حين لأخر يتذكر شيرين زوجته وطفله الرضيع، في بعض الأحيان يغالبه التأثر فتخرج من عينيه بعض الدموع محاولا ألا يظهرها أمام روايح التي أدخلت البهجة علي قلبه الجريح بحديثها العذب وغنائها الشجي وهي تطربه ببعض أغاني ذلك الزمان من أم كلثوم وشادية وليلي مراد وأسمهان.

مضي علي وجوده بين هؤلاء القوم أكثر من أسبوعين شعر خلالها بتحسن واضح علي صحته وهيأته وتعافت الجروح التي كانت تغطي الوجه وبعض الأجزاء من جسده.

بعد ثلاثة أسابيع جاء المجبراتي ونزع عنه الجبيرة وقد زال عنه الورم واللون الأزرق من التجمعات الدموية التي نتجت من ضرب أحدهم له بعصا كبيرة علي ساقه الأيسر، نهض بصعوبة مثل السابق حينما كان يتجه للحمام لقضاء حاجته وشعر بأن قدمه لا يستطيع السير عليها كما كان بالسابق.

اخبره "عودة" ألمجبراتي بأن هذا شيء طبيعي لمثل حالته

موضحاً له بأنه يشاهد في بعض الأحيان البعض يعرج أثناء سيره وهذا ناتج من مثل تلك الإصابات وعليه أن يحمد الله بأن ساقه سليمة ولم يحدث بها كسر وطالبه بأن يَعود نفسه علي السير بهذا العرج الخفيفة وسوف يعتاد على هذا ولا داعي للخوف من تلك الإصابة.

غادره الرجل بينما جلس مصطفي حزيناً كسيراً بعد أن فقد زوجته وابنه وأصيب بتلك العاهة المستديمة وسيظل بها إلي أن يلقي ربه كما أنه يعيش ضيفاً ثقيلاً علي هؤلاء القوم الفقراء، يتسائل من حين لآخر : ماذا فعلت لأجني كل هذا الألم النفسي والبدني؟ لقد تزوجت مثل باقي الناس وكنت أعمل كأي موظف نشط قبل أن أرتبط بالعزيزة شيرين، هل يبغي شقيقها الاستيلاء علي ميراثها؟ وإذا كان هذا مطمعه فلماذا كل هذا الذل والهوان الذي واجهناه سواء أنا أو هي، كيف حالها الآن وقد فقدت الزوج والأمان؟

أقبلت روايح بنفس راضية ترقبه في تأملاته، لم ينتبه لوجودها وظل علي حاله وتذكر ابنه عمرو فسالت الدموع من مقلتيه غزيرة ساخنة، أقبلت عليه فانتقلت الدموع إليها أيضا فهي تعلم أنه شاب رقيق الإحساس من الأيام السابقة التي

اقتربت منه حتي شعرت بأنها لا تستطيع الابتعاد عنه لكنها لا تعلم عن أحواله وماضيه أى شئ ومن المحتمل أن تكون إصابته بسبب عمل إجرامي أقدم عليه لكنها تراجعت مؤنبة نفسها علي تلك الأفكار السوداء متذكرة بأن القلب لا يفكر بمثل تلك الأفكار، فالقلب يقترب أو يبتعد عن إنسان ما بشعوره وإحساسه الداخلي الذى لا يمكن لأي إنسان التحكم فيه، فهو مثل التنفس الذي يتم دون تحكم وننام ونصحو وهو يعمل.

***

في عزبة النحلاوي بالفيوم مازالت حالة الحزن والألم تعتصر قلب "شيرين" متسائلة من حين لآخر:

ـ يا تري أنت فين يا مصطفي؟ يا تري عايش وإلا قابلت ربك؟

بعدها تندفع في البكاء فتهرع إليها الدادة لتخرجها من هذا الألم النفسي الحاد وما هي إلا دقائق حتي تسمع صوت وليدها يبكي فيخفق قلبها ويتشتت عقلها ويبتعد بها عن أي شيء آخر سوي هذا المخلوق الصغير فتندفع إليه بكل عواطفها محتضنة إياه ملبية كل رغباته حتي ينام هادئ البال علي صدرها فتحصل منه علي المنحة الإلهية بعدد من القبلات الصغيرة حتي لا تزعجه أثناء نومه.

ظلت شيرين علي حالها من الحزن والألم النفسي رغم أن الطبيب مازال يعودها من حين لآخر والرجل كان منتبها إلي حالتها حيث أخبرها بأن الحزن شيء طبيعي في الإنسان السوي لكن ثقي يابنتي بأن الله سوف يفرج كربتك.

تتساءل : كل ما اطلبه الآن هو معرفة مصير زوجي؟ هل هو علي قيد الحياة أم قابل ربه بعد أن اعتدي عليه أعوان علاء؟ كان يطيب من خاطرها وبأن كل هذا متروك للزمن ولو حدث مكروه لمصطفي زوجك لكانت قوات الأمن علمت بهذا وطالما لم تحدث أمور غير عادية فهذا يعني بأنه بخير والحمد لله.

***

تحت إصرار "صافيناز" ابنة اللواء حمدي حكمدار العاصمة تم الانفصال عن "علاء النحلاوي" وغادرت العزبة وأستقر بها المقام في فيلا النحلاوي بالمعادي كما صمم والدها علي أن يتعهد زوجها السابق "علاء" بدفع نفقة شهرية لا تقل عن مائتي جنيه، حاول علاء الاعتراض بأن هذا المبلغ مبالغ به ولكن والدها صمم علي ذلك.

استقبلت "شيرين النحلاوي" نبأ انفصال شقيقها عن زوجته بكل ألم حيث كانت صافيناز قريبة منها والتي كانت تتمتع بحس

عال وكان السبب في هذا الانفصال هو ما اقترفه شقيقها من عنت ضد زوجها والتي لا تعلم عنه أي شيء حتي الآن.

بعد عدة أيام من نشوب الخلاف بين كلٌ من مصطفي زوج شيرين وشقيقها علاء أبلغ ناظر العزبة السابق بيومي أفندي البوليس باختفاء المهندس مصطفي منذ ليلة المشاجرة وأنه يشك في علاء وأعوانه بأنهم قد تخلصوا منه وأجهزوا عليه.

كـشف الحقيقة

قامت مباحث القاهرة باستدعاء علاء النحلاوي لمقر الإدارة وهناك طالبوه بتوضيح أين قام بإخفاء زوج شقيقته "مصطفي ربيع" وأفادهم بأنه لا يعلم أي شيء عنه، واجهوه ببعض العاملين ومنهم ناظر الزراعة السابق مما أضطره إلي الإرشاد عن معاونيه فتم إلقاء القبض عليهم جميعا وفي التحقيقات أدلوا باعترافات تفصيلية بأنهم كالوا للضحية اللكمات والضرب بالشومة حتي لفظ أنفاسه ثم ألقوا به في النيل، حولوا جميعا إلي سراي النيابة التي فتحت تحقيقا موسعاً ثبت فيه أن علاء لم يطلب منهم قتله وإلقاءه بالنهر.

نشطت إدارة المباحث في البحث عن الضحية في مجري النيل وبالتحديد بالقرب من هويس القناطر الخيرية الذي يحتجز الغرقي ويتم كشفهم هناك، في خلال تلك الأيام تبين لهم أن تسعة أشخاص أبلغ عن اختفاءهم من ذويهم وقد عثروا علي ثمانية جثث وتبقي اثنتان إحداهما ممن أبلغ عن فقده والثاني هو الضحية مصطفي ربيع.

تم التعرف علي سبعة جثث بينما لم يتم التعرف علي الجثة الأخيرة نظراً لأن أحد تماسيح النهر التي تسللت من سد أسوان

قد التهمت جزءاً كبيراً منه خاصة منطقة الوجه وتلك الجثة كانت ترتدي بنطلونا بخلاف الباقين الذين يرتدون الجلباب.

تأكد لرجال المباحث بأن تلك الجثة للضحية مصطفي خاصة أن اثنين من المجرمين الذين ارتكبوا الجريمة اعترفا بأنه كان يرتدي هذا البنطلون، أشيع الخبر وتلقاه علاء بالصدمة ولم يكن يتوقع أن يصل تصرفه الطائش إلي تلك النتيجة وتصبح شقيقته أرملة.

كان وقع الخبر علي الزوجة شيرين صادماً صاعقاً وواصل الطبيب وديع حبيب الإشراف علي علاجها ورعايتها بل كانت زوجته ماري وابنتها الشابة لورا يقمن بزيارتها من حين لآخر يحاولن تقليل الأثر الحزين عليها وعلي طفلها، فقد كانت تربطهن بها صداقة قديمة منذ فترة طويلة وقد عاصرن والدتها الراحلة نازك هانم.

طلبت شيرين مغادرة العزبة وأيدها وساندها فى هذا اللواء حمدي والد صافيناز الزوجة السابقة لشقيقها، رغبت أن تسكن العوامة الخاصة بالأسرة والتي تقع من الجهة المقابلة لكوبري عباس "الجيزة حاليا" وقريبا منها تقع حديقة الحيوان وشارع مراد؛ قرر اللواء حمدي أن تحصل شيرين شقيقة علاء علي

مبلغ مائتي جنيه كنفقة شهرية من ريع أرضها أسوة بابنته.

ظلت "صافيناز" تداوم علي زيارة شيرين مواسية لها لما آل عليه حالها، بعد مُضي عدة أشهر تحسنت حالة شيرين الصحية والنفسية وواصلت حياتها ولكن شبح موت الزوج ظل ملازما لها فابتعدت عن المرح والضحك مثلها في ذلك مثل من في عمرها الصغير بعد أن ترملت علي يد شقيقها وبسببه كانت تجلس لفترات طويلة في فراندة العوامة تنظر إلي مياه النهر لعلها تكتشف الزوج الغريق، لم تستكن حيث كانت تشعر بأنها ستجده علي قيد الحياة، فقد كانت تقاوم خبر وفاته على أمل أنه مازال علي قيد الحياة.

مضي عامان علي مولد الطفل عمرو وتخطى مرحلة الحبو وبدأ أولى خطواته مثل نظراءه ثم تلاه السير المترنح والسقوط وكان هذا مدعاة لأن تخرج "شيرين" عن حزنها وعزلتها مركزة كل حياتها وجهدها للطفل الرضيع وبمعاونة الدادة "أم حافظ" والخادمة "بهيجة".

***

شعر مصطفي برغبة قوية تجاه زوجته شيرين وطفله ومضي عام علي فراقهم ولا يعلم عنهم شيئا، أعلن لأصدقائه

الصيادين برغبته هذه، أيدوا رغبته لكنهم تخوفوا من مغبة أن يحدث له مكروه من شقيق زوجته شيرين وما سمعوه وشاهدوه يوم إنقاذه ليدل علي أنه رجل قاس القلب عتيد في الإجرام وأن حال مصطفي صعب حيث مازال يسير ببطيء بسبب العاهة التي ألحقها تعدى أعوان علاء عليه.

كانت روايح أكثر تعاطفا مع مصطفي ومؤيدة رغبته هذه وكانت تنتابها حالة من البكاء لرغبة الشاب لرؤية طفله الصغير "عمرو" مما دفع مصطفي إلي العمل وادخار ما يمكن ادخاره لكي يتجه إلي عزبة النحلاوي لرؤية زوجته وطفله.

***

أعتكف علاء بالعزبة ولم يعد له من الصداقات إلا القليل بعد شائعة المساهمة في قتل زوج شقيقته وطلاقه من ابنة حكمدار العاصمة، لم يتقدم لخوض انتخابات الدائرة التي سيطرت عليها أسرته طيلة عشرين عاما، لقد أصبح مكروها من الناس بالدائرة لعنف سلوكه وحماقته مع العاملين لديه ولأن حزب الأحرار الدستوريين الذي كان عضوا به رفض ترشيحه لتأكدهم بأنه سوف يخسر الأصوات لسوء سمعته فلم يرغب بالزج به في الانتخابات أمام خصومه السياسيين.

كانت مصر ومعظم الدول العربية في حالة من الحزن الشديد بسبب الخسارة التي لحقت بالجيوش العربية في الحملة العسكرية لمقاومة قيام الدولة اليهودية والتي أعلن عن قيامها منذ عدة شهور، مازالت قوافل القوات المصرية تعود من فلسطين بعد أن فقدت الكثير من أبناء مصر أثناء تلك الحرب غير المتكافئة خاصة بعد ظهور أسلحة فاسدة أدت إلي تزايد الخسائر البشرية وشاهد الكثير من المصريين بعض الرجال العائدين وقد فقد الكثير منهم جزءا عزيزا من جسده سواء ساقه أو يده.

***

وصل مصطفي إلي عزبة النحلاوي وقد أعياه الإرهاق لطول مسافة السير بتلك العاهة التي كانت وما تزال تؤلمه اقترب من بوابة العزبة يخالجه شعور عارم بالخشية من أن يتعرف عليه أحد العاملين ويخبروا شقيق زوجته فيرسل بأتباعه للقضاء عليه.

شاهده الخفير الذي يجلس لحراسة باب القصر بالعزبة فتقدم منه مواسيا مربتا علي كتفه متسائلا: هل ما ألم به بسبب حرب فلسطين؟ شعر مصطفي براحة بأن "برهومه" الخفير لم

يتعرف عليه كما عثر علي سبب وجيه لما أصابه، هز رأسه دليلا علي أنه أصيب أثناء القتال مع اليهود.

اصطحبه الخفير إلي حجرته وقدم له الطعام وطلب منه أن يقضي تلك الليلة في ضيافته حين علم منه أنه متوجها لأحدي قري الفيوم وقد أعياه الإرهاق والتعب لعدم وجود مواصلات تقله حيث كان العثور علي المواصلات صعب المنال فالناس في تلك المناطق تعتمد علي الدواب في الانتقال من مكان لآخر والبعض يعتمد علي قدميه.

كان مصطفي متردداً هل يقوم بسؤال الخفير عن أي معلومات عن زوجته شيرين وابنه لكنه كان يخشي أن ينتبه الخفير لشخصيته أو يعمل علي تعنيفه لتدخله وتجسسه علي أصحاب العزبة.

جاءت الفرصة المواتية عندما تحدث الاثنان، وجه الخفير سؤالا مفاجئا لمصطفي من أي بلد أنت ونسي مصطفي أنه قد سبق وأخبره بأنه من قرية قريبة من مدينة الفيوم، أخبره بأنه من بلدة تسمي أبو كبير التابعة لمديرية الشرقية صمت مصطفي حيث شعر أنه قد اندفع في الحديث وتضاربت معلوماته لكن الخفير لم ينتبه لهذا بل بادره قائلاً :

ـ علي كده تعرف الباشمهندز مصطفي ربيع؟

صمت الشاب قليلاً ونظر في الأرض كأنه يحاول استجماع إرادته بينما كان الخفير مشغولا في ضبط حجر الجوزة وكميه المياه بها، أجابه مصطفي :

ـ ايوه طبعا، بلدنا ريح بلدهم علي طول، تنهد الخفير ثم أكمل حديثه :

ـ كان راجل فل والله، تعرف أنه مجوز من بنت الباشا

ـ مش معجول يا راجل، جول كلام غير ده.

ـ والله ده اللي حُصل، لكن تجول إيه ع الدنيا، حصلت مشاكل بينه وبين البيه ابن الباشا وساب العزبة والست هانم بعدها بكام أسبوع أخدت ابنها وسابت العزبة، بلهفة :

ـ متعرفش راحت فين؟

ـ العلم عند ربنا.

امضي مصطفي ليلته مع الغفير وعلم بعض المعلومات عن زوجته وابنه لكنه لم يستدل علي مكانهما ولهذا أخبر الخفير بأنه بعد أن يقوم بزيارة بعض أقاربه في عزبة حسونة المجاورة للفيوم سوف يعاوده مرة أخري يجالسه داعيا الله بأن يتخلص من جراحه وآلامه سريعاً.

عاد مصطفي إلي قرية الصيادين وأخبرهم بما توصل إليه من معلومات، عرض أحدهم بأن يتوجه للخفير يجالسه محاولا استدراجه في المعلومات، وافق مصطفي وزوده بالمكان واسم الخفير.

بعد أسبوعان توجه "خربوش" وإلتقي بخفير العزبة وعرفه بنفسه بأنه أحد تجار المواشي وتأخر اللورى الذي كان سوف يقله إلي بلدتهم بالمنوفية، رحب به الخفير وتبادلوا الأحاديث ثم قال خربوش إنه متذكر بأنه جاء منذ عدة أعوام وإشتري بعض المواشي وكان المهندس المشرف علي العزبة راجلٌ غاية في الخلق والاحترام متسائلاً :

ـ ممكن أجابله؟ صمت الخفير قليلاً ثم اقترب منه قائلاً :

ـ البجية في حياتك .. مات الله يرحمه وغرج في النيل، دُنيا .. كان راجل حلو خالص لكن حتجول إيه ع الدنيا والطمع، من كام يوم وصل البوليس وفضل يسأل كل الناس عن سبب خصام المرحوم مع علاء بيه.

ــ الله يرحمه، المرحوم كان مجوز وعنده عيال وإلا لسه مدخلشي دنيا؟

ـ الله يرحمه، دخل دنيا وآخره، أيوه .. ما هو كان مجوز بنت

الباشا وخلفت له عيل زي البدر.

- طبعا جاعدين في العزبة بعد المرحوم ما توفي؟

- لا والله، الست أخدت ابنها وهدومها وراحت حته تبعهم ومش عارف هيا فين ' لكن اللي بيشتغلوا معـــاها بيجولوا أنها بخير وربنا وياها.

استمر خربوش والخفير يتبادلان الحديث دون أن ينتبه الخفير بأن مضيفه لم يهدأ عن السؤال عن مصطفي وزوجته وطفله، كل هذا صب في مصلحة المعلومات التي إستقاها خربوش من الخفير حتي عاد إلي مصطفي وأبلغه بكل تلك المعلومات التي أسعدته بأن زوجته بخير وضايقه بأنه لاقي ربه وشيرين تعلم الآن أنه أصبح في عداد المتوفين.

هدأ مصطفي من وتيرة السؤال عن شيرين بعد المعلومات التي زوده بها خربوش والتي طمأنته عليها وعلي طفلهما، كما أن خبر وفاته سوف يجعل علاء النحلاوي ونسيبه اللواء حمدي يهدءان من وتيرة البحث عنه وما عليه سوي مواصلة حياته والانخراط مع تلك المجموعة الطيبة التي أحسنت استقباله وهو علي حافة الموت، لقد عافاه الله إلا من تلك الإصابة التى تركت له عاهة مستديمة تعرقل سيره وتؤلمه.

بدأ العام التالي ومصطفي أكثر هدوءا وراحة بال كما وبخ نفسه في بعض الأحيان لإقترانه بشيرين ابنة الباشا مفندا ومعددا مزاعم علاء بأنه ابن للفلاحين البسطاء ولا يجب عليه الإقتراب من أسياده الباشاوات والأعيان، مازال يحاور نفسه بأن شيرين بادلته الحب وأقنعت والدها بأنه الرجل المناسب لها وبذلت كل ما فى وسعها حتي أنها جابهت شقيقها الأهوج، كل هذا كان من أجلي، لكن الأغنياء يتناسون أننا معشر الفقراء بشر مثلهم، بل وفي بعض الأحيان يلهون بنا واحتمال أن شيرين اتبعت بعض تصرفات وسلوك الأسر الأرستقراطية بالتفكه والتندر علي عباد الله من أمثالي، بل بالتسلية بنا وتركنا بعد أن نتعلق بهم فيسحبوننا خلفهم ليشبعوا رغبتهم وأحبائهم ضحكا وسخرية من هذا الجرو الذليل، بعد برهة من الزمن عاد إليه صوابه وشعر أن قلبه يرتجف رافضاً هذا الفكر الغريب على شيرين الرقيقة الحبيبة أم ولده.

ازداد شعوره قرباً من أسرة روايح وبدا حبه يفتر تحت الضغط النفسي بأن شيرين ابنة باشا مثل شقيقها في تصرفاتها رغم أنه لم يلحظ عليها هذا السلوك، لكن البعد عنها أفضل وليساعدني الله في تحمل بُعد ابني عني.

خلال العام المنصرم لم تهدأ روايح من متابعة مصطفي بل ومطاردته بحديثها الرقيق الناعم، شعر الفتي بأنه منجذب إليها رغم المحاولات التي بذلها للابتعاد عنها، لكنه لم يستطع فقد كان في احتياج شديد لمن يعطف عليه ويسعده، من يكون أكثر الناس مقدرة علي العطاء الإنساني مثل تلك الفتاة بنت الصيادين بطيبة قلبها ونُبل مشاعرها وسمو أخلاقها وسعيها المستمر لراحته بالإضافة إلي أشقائها الرجال الذين أنقذوا حياته وآووه في دارهم كأنه واحد منهم بل اصطحبوه للعمل معهم وتشرب صنعتهم ومهنتهم.

صباح أحد الأيام شعر مصطفي بتوعك في صحته فآثر السلامة بأن يحصل علي راحة تلك الليلة ولا يرافق أشقاء روايح في عملية الصيد، أقبلت عليه روايح محاولة تخفيف متاعبه التي شعر بها ومنعته من مرافقة أشقائها، أعدت له كوبا من اللبن وناولته له فأمسك به لكنه أمسك أحد أصابعها فشاهد حمرة الخجل علي وجهها فرفع أصبعه من فوق إصبعها.

ابتسمت له ابتسامة لم يعلم مغزاها لكنها تصب في محيط السعادة والبهجة، بهدوء تناول كوب اللبن بينما غادرت روايح

الحجرة وأقبلت بعد قليل تحمل بعضاً من القرص المحشوة بالعجوة فسعد بها خاصة أنه شم رائحتها وتأكد أنها يا دوب لسه خارجه من الفرن.

أثناء محاولته الإمساك بقرص العجوة؛ أعاد مرة أخري تصرفه وأمسك بإصبعين لها، سكنت ولم تحاول فك أصابعها عن أصابعه وسألته :

ـ أنت باين عليك كنت شجي وعفريت؟ ليه بتعمل كده؟ أجابها :

ـ أبدا كنت عايز أحط شوية سكر علي اللبن والقرص أم عجوة فقلت ما فيش احلي من صوابعك!

غادرت الحجرة مسرعة، عادت بعد قليل وقد أطمأنت إلي أن جميع من بالمنزل قد غادروه، فهذا يوم السوق وقد غادرته زوجات أشقائها للشراء من السوق، بينما اتجهت أمها إلي احدي السيدات من أقربائها لتقوم علي زيارتها وتقديم العون حيث وضعت مولودا بالأمس وتحتاج عون النساء.

أقبلت روايح باسمة سعيدة واقتربت من مصطفي حتي تلامست أنفاسهما وملست علي وجهه بكل رقة حواء وعيونها السوداء مسلطة عليه، أمسكت برأسه ووضعتها علي صدرها مهدهدة عليه راجية منه ألا يبكي حتي لا تتبع بكاءه بعد أن

هاجمته حمي الشوق لرؤية ابنه.

نظر إليها ولسان حاله عاجز عن التعبير، فهذه الفتاة الرقيقة تحمل قلب أبيض صافي لا يملك منه هذا الأهوج علاء الجزء اليسير ورغم فقرها وعوزها وجهلها إلا أنها رقيقة المشاعر إلي أقصي درجة.

مازالت تحدق فى وجهه، مد يده إلي شعرها وملس عليه بهدوء ويُسر عدة مرات، وضع يده علي رقبتها من الجهة اليمني حانيا برقة لامسها أيضا، تهاوت روايح ولم تشعر إلا وهي تنام علي رأسه ثم قبلته فبادلها قبلة كبيرة تنبهت علي أثرها، نهضت وغادرت الحجرة ووقفت أمام باب الدار الخارجي والارتباك والاضطراب هو حالها، فلم يحدث لها مثل هذا من قبل ولم يبدأ الشاب بل هي التي انجذبت إليه.

أصابتها السعادة والخوف، السعادة لإحساسها برغبته فيها فقد شعرت بأنفاسه الساخنة الملتهبة أثناء قبلاته لها وازدادت رغبته تلك محاولاً جذبها إليه، أما الخوف بأن يعلم أشقاؤها بما حدث ويحدث ما لا تحمد عقباه سواء معاقبتها بدنيا بالضرب والسباب أو إرغامها علي الزواج من عوف التي تبغضه وتكره سيرته، أيقنت بأن حباً شديداً قادم في حياتها وأن هذا الحب ليس

كأي حب، فقد نما بمضي الأيام ومضت شهور عدة وهذا الشاب يحيا بينهم، هي التي تقوم علي خدمته ورعايته بتكليف من أمها فليس من المعقول أن تقوم احدي زوجات أشقائها بخدمة رجل غريب عنهم.

هدأت روايح مما أصابها وعادت ثانية إلي الحجرة وجلست في الركن المواجه لمكان نومه، نظر إليها فارداً يديه بأن تقبل عليه لكنها تمنعت بابتسامة ساحرة زادت من رغبته بها.

تحدث معها بكل رقة ومشاعر نبيلة مبديا رغبته بالتفكير بالارتباط بها، فهل لو تقدم لأسرتها ستوافق علي ذلك أم ترفض؟ حركت رأسها فتطاير شعر رأسها الجميل الناعم يمينا ويساراً قائلة:

ـ أسأل وشوف الجواب.

أعاد حديثه بأنه يسألها هل توافق علي الارتباط به؟ أجابته لقد أجبتك منذ دقائق، صمت والابتسامة تعلو شفتيه معلقاً :

لقد كانت أحسن إجابة لأصعب سؤال، غادرت الحجرة مسرعة ثم عادت وجلست أمامه مباشرة علي ركبتيها فأمسك بيدها حاولت الفكاك منه فجذبها حتي ارتمت عليه فقبلها قبلة طويلة لم تفق منها إلا بعد أن سمعت عراكاً في الشارع أمام الدار بين

رجلين يتحدثان بأن هذا غازل زوجته والآخر ينفي ذلك.

توقفت دماء الحب المتدفقة في شريان الحياة بأجسادهما العطشى للجنس الآخر، وقفت في مدخل الحجرة تنظر إليه وينظر إليها، ظلا يتبادلان النظرات عن البعد وعلى مسافة لا تتعدى المترين والتي قلبت كيان كل منهما، لقد كانت شفرة قوية من رموز الحب الرومانسي العالي، أشار إليها بأن تحضر إليه لكنها تمنعت متخوفة، ظلت هكذا حتي جاءت أمها وقد بدا عليها التعب والإرهاق من السير.

ساعدت أمها حتي أوصلتها إلي سريرها ثم عادت إلي الحجرة ونظرت بداخلها فلم تجده، أضطرب حالها وتوترت من هول المفاجأة بأن يتركها بعد أن تملك عشقه منها، شعرت بيد تجذبها من خلف باب الحجرة فقد كان مختبئا وأحتضنها بشغف وهي متخوفة من أن يقبل أحد أفراد الأسرة، هربت من بين يديه ووقفت أمام باب الدار حتي هدأت أعصابها المتوترة ورغم هذا فقد كانت في أسعد لحظات حياتها، فهذا الرجل بدا راغباً فيها وهي حواء التي يسعدها بأن يعجب بها الشاب التى تبغيه لكن الخجل يمنعها من الإفصاح عن هذا.

في المساء أقبل أشقاؤها بعد يوم مشحون بالعمل، جلسوا

كعادتهم يتناولون طعامهم مع مصطفي بحجرته يتحدثون بحديث جميل لا يخلو من البساطة وطابع المهنة التي يقومون بها، انتهوا من طعامهم وأعقبه شرب الشاي وتدخين الجوزة فاتحهم مصطفي بالحديث بأنه سعد بالحياة بينهم، رحبوا به أعقب هذا بأنه يتقدم إليهم طالبا مصاهرتهم في شقيقتهم "روايح" تبادلوا النظرات والسعادة والفرحة هى حالهم وأحدهم أسعده هذا أكثر من الباقين بينما الآخر حاول أن يستوضح منه قائلا بأنهم قوم فقراء وهو مهندس ورجل متعلم فكيف يوافق علي نسبهم وهم الذين لا يملكون قوتهم إلا يوما بيوم وحياتهم غير مستقرة، فقد يغدر بهم النهر وتجف أسماكه وقد اختبرت هذا بنفسك وأنت تعاوننا منذ عشرة أشهر أو يزيد.

حادثهم حديث الواثق : قوت اليوم باليوم فهذا لجميع البشر فكل يوم يأتي بالقوت والتنفس وحين يتوقف عن إنسان يكون أجله قد أنتهي ثم إذا حدثت مشكلة في عمل ما فسوف يبحث الإنسان عن عمل آخر، ألا تشاهدون الطيور وهي تسعي لكسب عيشها من مكان لآخر تعود بعدها إلي عشها تحنو علي أفراخها ما الفارق بيننا وبين الطيور؟ جميعنا كائنات تسبح بحمد الله.

أسعدهم حديثه والذي لم يفهموا منه الكثير لكنهم أعجبوا

بمنطقه وحجته، أعلنوا جميعا موافقتهم وأنهم سوف يقدمون يد المساعدة له ولزوجته روايح، رفض هذا معلناً بأنه سوف يظل يعمل معهم وقد ادخر جزءا من المال للمساعدة في شراء قارب صيد يعمل عليه برفقة روايح.

أقبلوا عليه يقبلونه ناثرين عليه كلمات الحب البريئة النابعة من القلب، تركهم أحد الإخوة ليخبر أمه بالخبر السعيد، جاءت موافقتها بعدد من الزغاريد الفرحة المبشرة، في تلك الليلة ظل الفرح والسرور يملأ الدار وتخضب وجه روايح بحمرة الخجل والفرح، أقبل الجيران للتهنئة ومعهم أدوات الفرح من طبلة ودف ومزمار والبعض من الفتيات صديقات العروس قمن بالرقص بين النساء وأمام الدار حيث اصطحب الرجال خطيب شقيقتهم للجلوس أمام الدار وتلقي التهاني.

جلس مصطفي بينهم باش الوجه سعيداً بالحدث، لم يؤلمه زواجه من أخري فهو لم يرتكب معصية أو ذنبا بل هو مجني عليه هو وزوجته شيرين لكنه يرغب بأن يعيش ويحيا بين الناس ويجد زوجة تحنو عليه في كربته هذه وتعد له طعامه وتشبع ظمأ جسده للجنس الآخر.

حينما اختلي بنفسه راجعها وحادثها، وإستعاد ما حدث فى

عزبة النحلاوى : حينما توجهت لخطبة شيرين كنت فتاً قوياً كامل الصفات الجسمانية والعقلية لكنى أتيت إلى هؤلاء الفقراء شبه ميت وقد أصابنى صهرى بعاهة مستديمة بينما وافق هؤلاء علي الإقتران بشقيقتهم وبعاهتي تلك ولم أتزوج شيرين طمعاً في مال مثل ما رغبت فى الزواج من روايح حباً في فقر فالرضا والسعادة والوفاق كله من عند الله، ولي نصيب بالاقتران بها ولها نصيب بالعيش معي.

آل مصطفى على نفسه أن يسير فى طرقات العزبة وطلب من أسرة فتاته بأن يطلقوا عليه اسماً آخر خوفاً من بطش رجال صهره السابق علاء، وافقوه لكنهم حاروا في اختيار الاسم الجديد حتي فاجأهم أحد الأصدقاء قادماً لزيارتهم ويدعي جابر هنا أطلقوا عليه هذا الاسم وأصبح مصطفى الريس جابر فيما بعد.

رافقت روايح "جابرا" في تنقلاته بالجزيرة التي تحيطها مياه النهر وهي جزيرة "الدهب" المواجه من الجهة الغربية لحي المعادي ومن الجهة الشرقية حي المنيب بالجيزة، زادت أواصر الألفة بين جابر وروايح وفي غفلة من مراقبة الأسرة كانت تطبع على خده قبلات خفيفة سريعة فمازالت تهيم به، بعد

مُضي شهرين علي الخطبة تم عقد القران وأقيم احتفال متواضع لكنه مغلف بالحب من الأهل والجيران وأستمر الطبل والزمر والغناء إلي أن تعدي منتصف الليل.

توجه العروسان إلي حجرتهما التي أعدها أشقاؤها بالقليل الذي يملكونه، كل واحد منهم تصرف بالبيع في خاتم أو سلسلة ذهبية خاصة بزوجته واللائي قدمن كل هذا بنفس راضية، كان جابر يشاهد ويسمع أحاديثهم يتناقشون بصوت هادئ لا تعلوه نبرة التحدي أو الانفعال ولهذا كانت تغمره الدهشة من هؤلاء الفقراء الذين يمتلكون كنز القناعة الذي لا يفني أبدا فهو دائماً متجدد.

في ليلة عرسهما أقبلت عليه روايح راغبة فيه فقد أمسى زوجها وقبلها هو حبيبها ومن قبل مريضها الذى داوته بقبلاتها وطببته بكل حنانها ورقتها ولم تبخل عليه بالقصص والنوادر وأغاني المطربات لتلك الأيام خاصة بعد أن غلف الوطن حزن دامس من هزيمة الجيوش العربية في حرب فلسطين وأضحت المملكة المصرية في حزن شديد.

بعد زواج فعلي بين جابر وروايح شعر بعدها الرجل بأن الدنيا مازالت بخير، فقد شعر بحب أهل عروسه كما أسبغت

عليه روايح من حبها وفتنتها الشيء الكثير مما جعله يرفل في النعيم وأصبح مصطفي أو "جابر" الزوج الهانئ الهادئ شاكرا ربه سرعة مساعدته وتسخير هؤلاء القوم لمساندته وبدون هذا حتي لو لم يغرق إلي أين كان سيتجه وهو يعلم بان عيون علاء تراقبه باستمرار وأن رجال المباحث التابعين لصهره سوف ينتظرونه ببلدته ومن المحتمل أنهم قد ألقوا القبض علي أشقائه.

أصبح وعروسه يقومان علي العمل وبدا واضحا خوفه واضطرابه من ركوب المراكب الصغيرة التي لا يزيد طول الواحد منها عن خمسة أمتار وبعرض المتر ونصف وموج النهر يحركها ذات اليمين وذات الشمال وهي تتأرجح، أصابت روايح الضحكات وهي تواسيه بألا يخاف أو يخشي النهر وبعد أن يتدرب سوف يصبح مثلها ومثل أشقائها بل قد يتفوق عليهم ومن المحتمل أن يصبح شيخا للصيادين ويصبح لقبه الريس جابر أسما علي مسمي.

كانت روايح تقوم بعمل كل شيء بينما كان جابر يقبع وسط القارب ممسكا به بقوة وحين يتمايل القارب كان يصيبه الهلع والجزع فينظر إليها وهى تقف علي حافة القارب سواء في المقدمة أو في النهاية وتفرد الشباك وبعد ساعتين أو أكثر

تجمعها ثانية بعد أن أتت بمحصول وفير يعود عليهم وعلي الأسرة بالخير.

تشجع جابر رويدا رويدا وبدا في مساعدة روايح وبدا أن الخوف والقلق يغادره بمرور الوقت، بعد مُضى عدة أشهر أصبح يجيد حرفة الصيد نسبيا وقل مجهود روايح وزاد من نشاطه خاصة بعد أن أصابت روايح آلام الحمل بالإرهاق والتعب.

وضعت روايح طفلة جميلة تمني مصطفي بأن تصبح صورة من "شيرين" زوجته الأولي، ضحك من أفكاره متسائلاً وما العلاقة بين الطفلة وشيرين؟ أصبح يعمل علي القارب بمفرده ومن أجل هذا رغب في تأمين نفسه فأصبح يعمل مجاورا لأجناب النهر مبتعداً عن الوسط حتي إذا سقط في الماء يمكنه الخروج بسرعة قبل أن يغرق رغم أن العديد من الصيادين يحيطون بقاربه خاصة أشقاء زوجته الذين سوف يقدمون له يد العون والمساندة.

بدا واضحا أن حظ جابر في الصيد لا يضاهيه أحد وقد أوكل البعض هذا بأنه يقوم بالصيد بالأجناب حيث تهرب الأسماك إلي حافة النهر بعيداً عن الصنادل البخارية التي تجوب النيل

كذلك قوارب الصيد الكثيرة، كما أن جابرا كان يخشي التماسيح حيث ظهر العديد منها أثناء فترة الفيضان حين فتح بوابات خزان أسوان كي لا يدمر الفيضان الخزان من قوة اندفاع المياه.

مضي شهران علي وضع روايح لطفلتها وانضمت إلي زوجها حاملة معها بعض الأغراض للإقامة شبه المستديمة في القارب لأن هذا هو موسم وفرة الأسماك، في المساء جلس الزوجان بصحن القارب الداخلي وأشعلت روايح وابور الجاز لتعد الطعام من بطاطس وأرز يتناولونه بشهية، لقد أنعم الله عليهم بالخير الوفير مع هدوء النهر وبعيداً عن صخب الجيران والصراعات بين البشر يتناولان الطعام ويتبعانه بالشاي.

أثناء الليل وبعد أن فرد جابراً شباكه في المنطقة التي اختارها للصيد خلد مع زوجته والرضيعة إلي النوم بباطن القارب ملتصقا الأجساد ويعطي كلٌ للآخر ما يحتاجه من حب وإطفاءً للرغبة المشتعلة بينهما فقد أصبحت حياتهما حُبا وعشقاً مستديما والبعض كان يتندر على حبهما بإعجاب.

زادت كميات الأسماك التي كان يُرزقان بها، كان البيع يتم لبعض الزبائن الذين اعتادوا الحضور إلي أماكن الصيادين لشراء ما يرغبونه وفى أحد الأيام طلبت روايح من جابر بأن

يتجه شمالاً إلي الجيزة، هناك توجد البيوت الخشبية "العائمات" علي شاطئ النهر وهم قوم ميسورو الحال ويمكن البيع لهم بسعر أعلي بكثير من السعر بهذا المكان لأن عدد الصيادين هنا كُثر وبالتالي يحدث تنافس بينهم مما يؤدي لخفض أسعار الأسماك.

تردد جابر في البداية لأن تلك المنطقة تبعد عن منطقتهم ثلاثة كيلومترات ويخشي المجازفة فلا خبرة له في البيع أوضحت له بأنه سبق لها أن رافقت أشقاءها مرات عدة للبيع لتلك البيوت الخشبية وشملتهم الفرحة والسعادة بتحقيق ربح أكبر لارتفاع ثمن البيع.

تشجع ورافق زوجته وطفلته متجها إلي الجيزة، عبرا أسفل كوبري عباس وشاهدا العوامات علي الجانب الغربي للنهر من جهة الجيزة، رفعت روايح عقيرتها تعلن عن بضاعتها من السمك الطازج ولم يكن صوتها يصل إلى أسماع سكان العوامات وأسرع البعض من سكان العائمات يشيرون عليهما راغبين في الشراء، لم يمض أقل من ساعة إلا وانتهيا من بيع الأسماك بسعر يفوق ضعف ما يدرهم عليهم عندما يقومون ببيعه في السابق.

عادا إلي العزبة وهما فى أحسن حال وشجعهما الربح علي أن يصبح هذا هو سوقهما الذى يتجهان إليه عقب كل صيد.

بلغت الرضيعة العام الأول من عمرها ودأبت "سعاد" الطفلة الجميلة على أن تداعب والديها أثناء الإقامة بالمركب، كان الزوجان راغبين في ادخار خمسين جنيها ثمنا لشراء قيراط أرض وإقامة منزل صغير من حجرتين وباقي الأرض يخصصانه لزراعة الخضروات اللازمة للمعيشة، بدا علي جابر أنه تشجع وبرع فى عملية بيع بضاعته من الأسماك بمنطقة العائمات قريباً من الجيزة لهذا قام بالنداء علي بضاعته وبالطبع كان صوته أقوي من صوت روايح.

جاء يوم كانت "شيرين وصافيناز" تجلسان في فراندة العوامة عندما بلغ سمعهما صوت بائع السمك؛ تنبهت شيرين وتوقفت عن الحديث وبإشارة من يدها طلبت من صافيناز الإنصات، سمعا صوت بائع السمك " السمك الطازة " وقفت شيرين تتطلع جهة الصوت الذي كان يبعد عنها بما لا يقل عن مائتي متر، نظرت إلي صافيناز مضطربة متسائلة :

ـ الصوت ده زى صوت مصطفي، نهضت صافيناز تربت علي كتفها :

- الله يرحمه.

عادت السيدتان للجلوس ومواصلة الحديث، لكن الصوت تكرر عدة مرات، أيقنت شيرين أن صوت بائع السمك لا يفترق عن صوت زوجها الراحل مصطفي بينما صديقتها تخبرها وتؤكد أنه تشابه في الأصوات لكن شيرين تعيد حديثها قائلة: لا يمكن لزوجة تعشق زوجها أن تنسي صوته أو هيئته او رائحته إنها العشرة والحب والإخلاص المتبادل لن أنسي ما حييت حبيبي مصطفي، رحمة الله عليك، انهمرت الدموع من عينيها وهي تنظر إلي وليدها الذي يلعب بجوارها، انحنت عليه تقبله سعيدة واحتضنته شاكرة ربها أن نفحها هذا الطفل من رائحة زوجها الحبيب الذي غادر الدنيا ولم يكمل عامه الخامس والثلاثون.

مريت علي بيت الحبايب

سارت الأمور بالزوجين علي ما يرام ولم تفارقهما البسمات والضحكات أثناء العمل أو بالحجرة التي يحيون فيها مع أسرة روايح ومن حين لآخر ينظر جابر إلي زوجته وهي تغدو أمامه برقتها ورشاقتها باسمة سعيدة، تعجب للقدر الذي يمنح تلك الشابة القوة والعافية والرقة والجمال، كان إعجابه وعشقه لزوجته روايح واضحا ولهذا شكر الله بأن عوضه عن حبيبته الأولي التي لم ينس أيامها الجميلة وقد آثر البعد بينهما بالفتور بعد ما لاقاه من شقيقها وأعوانه وانتابه احساس بالغبن ولكنه قال فى نفسه أن المال مفسدة لمن لا يقدره.

شاهد روايح تشعل وابور الجاز في بطن القارب وبجوارها ابنتها سعاد، كان ممسكا بأحدي الشباك ليستعد لفردها في الماء قريباً من الشاطئ كما اعتاد خشية مياه النهر المتدفقة، أعدت روايح الطعام كي تضعه علي النيران المشتعلة، كانت تُعد أكلة "صيادية" وهي عبارة عن أسماك القراميط التي تنظف وتقطع جزل وتوضع مع التقلية المكونة من الزيت والبصل المقطع قطعاً صغيرة وكل هذا وضعته بصينية فوق الوابور.

نظرت إلي جابر بعد أن انتهي من فرد الشبكة الثانية وسألته :

ـ تشرب شاي يا سي جابر؟ أشار لها بالموافقة حيث كان جالساً علي مقدمة القارب بعد أن وجه مقدته نحو شاطئ النهر واستقر به لفترة حتي تدخل الأسماك الشباك وهذا يحتاج إلي ساعتين من الزمان يقدرها بالتقريب فهو لا يملك ساعة بيده وجلبابه مهترئ لفرط قدمه، لم يكن يملك سوي جلباب واحد أقرضه له شقيق زوجته "خربوش".

أعاد نظراته الباسمة إليها وفي كل مرة يشعر بأنه يكتشف كنز جمالها وفتنتها بعد أن اكتشف في البداية أنوثتها وسماحة أخلاقها وكرم أسرتها الذي لن ينساه طوال حياته.

حاول مقارنتها بزوجته الأولي شيرين لكنه تدارك ذلك بأن قال فى نفسه هذا ظلم لا يجوز، فلا يمكنك المقارنة بين التفاح والبرتقال، كل نوع له طعم ورائحة وشكل يميزه، كانت روايح متوسطة القامة ممتلئة نسبيا بالمقارنة بشيرين وذات عيون سوداء واسعة وشعر فاحم طويل مع أسنانها البيضاء التى كونت صورة جميلة مع شفاهها فأعطتها جمالا فوق جمال، ينظر زوجها إليها وهي تغرف الماء من مياه النهر بصحن عميق بعد أن وضعت براد الشاي فوق النار بعد أن أنزلت صينية السمك كي تعد لزوجها كوب من الشاى كما طلب منها، لم تكن تخشي

النهر أو تخشي أن يختل توازنها من فوق القارب الصغير والتي تتحرك فوقه أو بداخله بكل سهولة ويسر ورشاقة، فقد اعتادت علي هذا منذ نعومة أظفارها كما أنها تجيد السباحة.

تناول مصطفى كوب الشاي من يدها البيضاء مركزا نظره علي أصابعها المنمقة الرقيقة رغم مشقة مهنتها، أمسك بهم فإبتسمت له تعيد حديثها السابق لأول مرة حين قام معها بهذا العمل، أقترب منها فأخبرته بأن ينتظر الليل فهو ستار وأمان أما الآن فالجميع سوف يشاهدنا، أعاد مغازلتها فأجابته بضحكة فرحة حتي كادت أن تستلقي علي ظهرها من فرط السعادة أشار إليها بالموافقة علي اقتراحها رغم أنه يرغب فيها الآن غمزت بعينيها بما يعني بأنها ليست أقل منه رغبة وحباً له.

جلس عليً حافة القارب بوضع القرفصاء وأمسك بكوب الشاي يرتشفه بسعادة بينما بدأت روايح في إعداد الطعام وصغيرتها تلعب بجوارها على الجانب الآخر بعيداً عن خطر تعرضها للنيران، ترك كوب الشاي جانبا وأسرع بالقارب للجهة الأخري فقد سبق وفرد إحدي الشباك بهذه المنطقة، فقد جاءته الإشارة بأن الشبكة امتلأت بالأسماك حاول جذبها لكنه لم يستطع فأتت زوجته بعد أن أمنت وضع طفلتها ببطن القارب

وتعاونا معاً في جذب الشبكة حتي نجحا في وضع الشبكة فوق القارب، صاحا الاثنان معاً .. بس الله الرحمن الرحيم .. يرزق الله من يشاء بغير حساب، كانت الشبكة تحوي كميات كبيرة من الأسماك، قام الإثنان بتفريغها حتي ملأت جوف القارب وقررا بألا يقوم بفردها مرة ثانية فلم يعد هناك مكان بالمركب يستقبل أسماكه.

جلسا يستريحان، ما هي إلا دقائق حتي شعرا بأن الشبكة الثانية قد حملت كمية كبيرة من الأسماك، تعاونا معا حتي استطاعا إخراجها من الماء، قابلتهما مشكلة، أين يمكن تخزين كل تلك الأسماك، اقترحت عليه بأن يتجها إلي الشاطئ الشرقي للنهر من جهة المعادي ويقومان ببيع جزء منه والباقي يقومان ببيعه في منطقة عائمات الجيزة بسعر مرتفع كالسابق.

جلس الزوجان علي شاطئ النهر يحصلان علي قسط من الراحة بعد المجهود الذي بُذل في إخراج الشباك وتفريغها أشتمت روايح رائحة الطعام الشهي فأطفأت النيران وجلست مع زوجها استعدادا لتناوله بينما رضيعتها تنام بجوارهما علي جسر النهر بعد أن قامت روايح بتغطيتها بجلبابها القديم.

بسم الله الرحمن الرحيم، وضع كل منهما يده في صينية

الطعام لكنهما شاهدا عدداً من الأفراد يسيرون بالقرب منهما أشاروا إليهم، تفضلوا معنا نتناول الطعام، توقف القوم قليلاً ثم أقبلوا علي استحياء مترددين، نهض جابر من جلسته واقفا وأستقبلهم مرحبا باسما بينما روايح أعادت الترحيب بطريقتها البسيطة التي تدفعك إلي حبها والشعور بالإخوة معها.

شاهد القوم الطعام وقبل أن يتناولوه قدموا شكرهم للأسرة الكريمة وعرفوهم بأنفسهم بأنهم من أهالي فلسطين الذين طردوا من ديارهم في أعقاب الحرب التي انتهت العام الماضي لقد قدموا من ديارهم سيرا علي الأقدام طوال شهرين وكل منطقة يقابلهم بها الناس يقدمون لهم يد العون وهم متجهون إلي الصعيد إلى قرية تتبع مدينة مغاغة حيث تعرفوا علي أحد ضباط الجيش الذي كان يحارب اليهود العام الماضي وهو القائم مقام عزت سليم الذى وعدهم حين زيارتهم مصر بأنه سوف يستقبلهم بما يناسبهم سعيداً بمشاهدتهم مرة ثانية.

كانت المجموعة لأسرتين كبيرتى العدد فلا يقل مجموعهما عن ثمانية عشر فرداً وكان يغلب عليهم العنصر النسائي لأن الرجال ستة فقط أما الباقون فهن من النساء مختلفي الأعمار.

امتدت أيادي كثيرة إلي الطعام بينما نهضت روايح وأتت

بكمية كبيرة من الأسماك وقامت تعد وجبة أخري وتعاونت معها بعض النساء وظل الرجال والأطفال يتناولون طعامهم.

سمع الجميع صوت مؤذن يعتلى مئذنة وكان الوقت عصراً وأصبحت المنطقة علي جسر النهر الشرقي يشغلها أكثر من عشرين شخصاً بعد أن تناولوا طعامهم الذي رزقهم به الله وشكروه وحمدوه علي نعمته هذه.

جلس جابر مع الرجال وطلب منهم أن يقوموا ببيع الأسماك التي علي الجسر لمن يرغب وسعر البيع قرشان "للأقة" والتي تعادل ثلاثة أرطال إلا ربعاً، دربهم علي كيفية تجميع الأسماك وربطها كمجموعات بوضع نبات "السمار" الموجود بشاطئ النهر بخياشيم السمك بديلا عن الخيط، قام أمامهم يدربهم علي هذا وشعروا بأنها ليست عملية صعبة، ودعهم لأنه سوف يتوجه مع زوجته بباقي الأسماك لبيعه والعودة قبل الغروب.

توجه الزوجان وبرفقتهما الرضيعة سعاد إلي منطقة عائمات الجيزة لبيع أسماكهم بين الدعاء من الضيوف لهما بالمكسب الوفير والعودة إليهم غانمين، أما كبيرهم وهو رجل طاعن في العمر نظر إلي جابر قائلاً:

ـ روح يا بني وربنا ينولك ما ترغبه وتتمناه ويبرد قلبك بما

تفكر فيه ليل نهار.

أسعدت تلك الكلمات جابراً وزوجته واتجها من فورهما إلي العوامات لبيع الأسماك التي رزقهم الله بها حتي لا تفسد من شدة حرارة شهر أغسطس، إقتربا من العوامات وهما يُعلنان علي بضاعتهما، استطاعا بيع جزء منها وقريباً من إحدي العوامات لم ينادِ جابر علي أسماكه ولكنه شدا بأغنية محمد عبدالوهاب.

مريت علي بيت الحبايب ... من اشتياقي أناجي أهله

ما دام مليك القلب غايب ... وفي التلاقي يبخل بوصله

وقفت لحظة هنيه ... من غير عزول أو رقيب

أنعش فؤادي وعيني ... بجو فيه الحبيب

نهضت شيرين من نومها في قيلولة فصل الصيف تردد :

- مصطفي، مش ممكن!! هوه مصطفي، نادت علي خادمتها وطلبت منها أن تقوم بطلب بائع السمك، أطلت الخادمة من شرفة العوامة:

- يا عم يا بتاع السمك، تعالي.

أسعد هذا جابراً وزوجته بأن بات قريبا من بيع أسماكه المتبقية وسيعود مجبور الخاطر إلي ضيوفه من أبناء فلسطين

اقترب القارب من العوامة وشيرين تنظر إلي الرجل مهلهل الثياب حافي القدمين يرتدي جلبابا قصيراً ممزقا من فرط القدم نظرا لطول قامته يسير ببطيء ويعرج في مشيته ووضح عليه سوء الحال من طول اللحية وآثار الشمس التي لفحت وجهه ربطت روايح القارب بالعوامة وناولت الأسماك إلي زوجها الذي صعد إلي سلم العوامة الضيق من جهة الشاطئ.

أقترب الرجل من نهاية السلم فنظر لأعلي فشاهد شيرين تقف وبجوارها ابنه "عمرو" لم يتمالك نفسه من الدهشة فترنح ولم تسعفه ساقيه فسقط في الماء، شاهدته روايح وهي تعلم أنه لا يجيد السباحة، قفزت ناحيته قبل أن تبتلعه مياه النهر بفيضانه العارم، قاومت روايح المياه بينما صرخت شيرين طالبة النجدة، تركت عمرو للخادمة وقفزت هى الأخرى في مياه النهر وتعاونت السيدتان لإخراج جابر من المياه حيث كان في حالة سيئة من الإغماء فقد أبتلع كمية منها كما أصابته تلك السقطة بالخوف والوجل من الغرق، أفاق فشاهد نفسه مُسجي علي أرضية العوامة ونظر يمينه فشاهد روايح ونظر يساره فشاهد شيرين، عاد لإغمائه مرة أخري والسيدتان في حالة من الجذع، سألت شيرين روايح.

- جوزك اسمه إيه؟ أجابتها بانفعال وضيق :

- جابر يا ست هانم، مليش غيره في الدنيا ربنا رزجني بيه زي السمك طلع ليا من البحر مع السمك وبجي جوزي.

نهضت شيرين واقفة بينما الخادمة تطالبها باستبدال ملابسها المبتلة لكنها لم تستجب لحديثها أو تنتبه إليه من الأصل، أعادت النظر إلي الرجل المُسجي أمامها والذي يشبه زوجها مصطفي إلي حد كبير تتساءل :

- ممكن الرجل ده يكون مصطفي جوزي وأبو ابني؟ لكن حيكون إزاي ومصطفي مات من سنتين ودفن، بس مراته بتقول إنه نصيبها وطلع من البحر زي السمك، مش معقول كلامها ده!! لأنه كلام علي علاته بتاع صيادين زى ما كنا بنسمع عن حكايات جنية البحر، كلام وتخاريف ملهاش معني.

قطع تفكيرها نهوض جابر من إغماءه مما دفع روايح لإطلاق العديد من الزغاريد وأتبعتها شيرين بكلمات باسمة مهنئة جابراً علي نجاته.

- سلامتك يا ريس جابر، نظر إليها ومازال جالساً أرضا فقد سمع صوت حبيبته والذي سمعه لأول مرة بينما كان جالساً أسفل شجرة التوت في يوم قيظ شديد الحرارة يردد بداخله :

"ما أشبه اليوم بالبارحة".

- الله يسلم سعادتك يا هانم، نهض واقفاً ونظر لأبنه متسائلاً :

- ابن حضرتك؟

- ايوه ابني، وما يعرفشي أبوه اللي مات من سنتين، دمعت عيناه وتأثرت شيرين لشعوره المرهف بينما ودعتها روايح متجه إلي القارب لتراعي رضيعتها، صاحت شيرين طالبة من خادمتها إعداد جلباب للريس جابر، تساءلت الخادمة :

- مافيش يا ست هانم جلاليب رجالي غير بتوع المرحوم.

- أنا عارفه، حدثت جابراً، تاخد الجلبيه لكن علشان خاطري تجيبها تاني لأنها من ذكري جوزي الراحل ووالد ابني.

- حاضر يا ست هانم، ربنا يخليلك أبنك، ثم بكي .. تساءلت :

- ليه بتبكي؟

- معلش، صعب علي الصغير ده انه ما يشوفش أبوه ولا أبوه يشوفه، ممكن أسلم عليه وأبوسه؟

- ممكن ولكنه براوي شويه ومش بيتعرف علي طول.

أتجه جابراً للطفل وجلس علي ركبتيه وأشار إليه فأسرع الطفل يلبي تلك الإشارة وأحتضنه جابر وعاد يجهش بالبكاء ثانية، دُهشت شيرين وعادت الخادمة فناولته الجلباب فتواري

في بدروم العوامة واستبدل الجلباب، أشارت شيرين إلي روايح والتي كانت تتابع ما حدث في لقاء زوجها بالطفل الصغير وتبعته بدموعها، أشارت إليها طالبة منها أن تتبع الخادمة لتعطيها جلبابا من ملابسها قائلة :

ـ أحسن جلبيه عندك، فاهمه يا بهيجة؟

أنتهي الزوجان من استبدال الملابس المبتلة وتسائلت شيرين :

ـ أنت ملكش أخ توأم أو أخ وخلاص؟ نفي هذا بهزة رأس وشكرها مخبراً إياها بأنه سوف يعود بالجلباب إليها فرجته هذا بينما طلبت من روايح أن تحتفظ بالجلباب كما أشارت إلي الخادمة بأن تشتري كل الأسماك التي بحوزتهم، دُهشت الخادمة لكثرة الأسماك لكنها نفذت رغبة سيدتها.

تحرك القارب عائداً من حيث أتي ووقفت شيرين ملوحة لراكبيه بإشارة مع السلامة ووداعا بينما روايح مسرورة من حُسن اللقاء ونجاة جابر من الغرق وبيع الأسماك بمبلغ كبير وكانت تردد " ده نصيب الضيوف اللى جم اليوم ".

جلس جابر مشغول البال والفكر والوجدان متوتراً مضطرباً ما بين السعادة بأن شاهد حبيبته شيرين وابنه الحبيب عمرو وما بين توتره لما صبته شيرين في رأسه من أنه قد

مات، تساءل: كيف سيصبح عليه الحال بعد أن تتعرف عليه شيرين أو يقوم بكشف شخصيته لها؟ ماذا سيصبح عليه حاله بعد أن أصبح زوجا للاثنتين؟ لم يجد إجابة علي سؤاله، انشغل عن تلك الأسئلة وشارك زوجته في سعادتها وأن الله أكرمه في هذا اليوم بمشاهدة أحبائه شيرين وطفله والذي إشتم عبير أنفاسه الجميلة وهو يحتضنه وتذكر دعاء الشيخ القادم من فلسطين بأن يبلغه الله أمانيه بلقاء الأحباء الذي يتمني رؤيتهم ويبرد نار فراقه علي أحبائه، توقف متسائلاً :

هل كان الله سميعا مجيباً للدعاء فى تلك اللحظة؟

بعد مرور يومين علي ذلك الحدث عاد جابر مع زوجته وطفلته إلي العوامة لتسليم شيرين الجلباب ممنيا نفسه بمشاهدتها ومشاهدة ابنه عمر لكن خاب ظنه حيث كانت شيرين مع وحيدها في زيارة لصديقتها صافيناز.

مضي أكثر من أسبوع علي اللقاء غير المتوقع بين كلٌ من شيرين ومصطفي أو (جابر)، انهمك جابر مع ضيوفه من الشباب والرجال القادمين من أرض مهد المسيح عيسي بن مريم، انهم في انتظار سفر الوفد الذي سيغادر متجها إلي عزبة الضابط الذي إلتقى بهم العام الماضي خلال الحرب.

أهـل المـروءة

كل صباح يقوم اثنان من ضيوف مصر بالعمل علي قارب الصيد ومعاونة جابر وكأن الله يعلم ما يحمله هذا الرجل من هم من أجل اطعام هؤلاء المشردين علي يد من اغتصبوا أراضيهم ووطنهم، كان رزق النهر وفيرا كما اندمجت النسوة مع زوجته في العمل وتجميع الأسماك للقيام ببيعها للراغبين ومازال جابر يفكر في زوجته وابنه الذى شاهدهما لمرة واحدة كاد فيها أن يفقد حياته من هول المفاجأة.

مضت الأيام وأثناء قيام جابر ببيع بضاعته تعرف عليه أحد أصحاب العوامات بعد أن اشترى السمك منه وشعر بود نحوه من حُسن حديثه وجودة بضاعته حيث أثنت زوجته علي أسماكه الطازجة وحلاوة طعمها، سأله الرجل لماذا يزك علي قدمه بهذا الشكل، أوضح له جابراً بأن السبب في ذلك إصابة من ضربة عصا علي مفصل قدمه ولم يعالج علاجاً مناسبا، طلب منه الصعود إلي العوامة وفحص قدمه بعد أن أخبره بأنه طبيب عظام بمستشفي دار الشفاء.

نظر إليه الطبيب ويدعي شوقي النجار قائلاً : هل ستكمل حياتك بتلك الإصابة المؤثرة علي سيرك والتي سوف تقلل من

سهولة حركتك؟ لا يجب هذا يا بني، سوف أقوم بعلاجك حتي تعود كما خلقك الله والعلم تقدم وثق بأنني سوف أوفق لما أقول.

أجابه جابراً بأنه فقير ولا يملك ثمن العلاج، إبتسم الطبيب موضحاًأنه لا يريد منه مليما واحداً، فالعلاج في المستشفي خيري ويتحمل نفقاته أهل المروءة والخير، كما أوقف البعض من الأثرياء بعض ممتلكاتهم من أجل هذا الغرض، حدد له موعداً يقوم بزيارته بالمستشفي وبعد العلاج سيظل غير قادر على الاعتماد علي ساقيه لمدة شهر.

طلب منه جابر تأجيل هذا الموعد كي يرتب معيشته ثم غادر العوامة شاكراً مروءته، عاد سعيداً باسماً إلي زوجته وأسر لها بما أخبره به الطبيب وأسعدها هذا وتساءلت لماذا لم تقرر موعداً لزيارة الطبيب؟ أفادها بأنه منتظر أن يتوجه ضيوفه إلي زيارة الصعيد ولقاء الضابط الهمام الذي عرض عليهم ضيافتهم بعزبته هناك.

إتفق جابر مع شيوخ القادمين من فلسطين بترك الزوجات والفتيات علي أن يظل برفقتهم رجلين ويتجه أربعة منهم للقاء الضابط حتي يتم الاتفاق علي التوجه إليه جميعاً بدلاً من تحميلهم جميعا مشقة السفر إلي الصعيد في هذا الحر الشديد

وافقوه الرأي فأخرج من جيبه عشرة جنيهات هي كل ما كان يمتلكه لشراء قطعة الأرض لبناء داره عليها كما وعد روايح منذ أشهر واستطاعا تدبير هذا المبلغ علي مدار أربعة أشهر.

رافق جابر الرجال الأربعة إلي محطة قطارات الصعيد بالجيزة كي يتأكد من ركوبهم القطار وأوصي بعض الركاب بالتنبيه علي القوم حين وصول القطار إلي مركز مغاغة.

وصل الوفد المكون من شباب ورجال فلسطين إلي عزبة سليم التابعة لمركز مغاغة؛ هناك أرشدهم بعض الأهالي إلي موقع قصر العائلة، بعد مسيرة نصف ساعة وصلوا إلي القصر وقفوا أمامه وتملكتهم الدهشة والإعجاب من روعته وفخامته حيث كان مشيدا علي مساحة واسعة تحيط به حديقة كبيرة وأشجار المانجو ونخيل الزينة بساقه الأبيض الذى كان واضحا للعيان من خارج الأسوار، القصر مكون من دورين بلون أبيض تعلوه النقوش الفرعونية ويغلفه الهدوء والصمت.

شاهدهم الحارس الخارجي والمزود ببندقية متسائلاً عما يريدون بعد أن تبادلوا معه التحية والسلام والمصافحة، طلب كبيرهم لقاء سيد القصر، دُهش الحارس متسائلاً إن كانوا علي علاقة به أو لموعد معه، أجابوه بأنهم علي علاقة به منذ العام

الماضي وطلب منهم زيارته حين الوصول إلي مصر.

أشار الحارس لأحد العاملين الذي يقف علي باب القصر الداخلي وأخبره بالوفد الذي يرغب فى لقاء البيه، عاد الرجل بعد قليل ورافقهم إلي داخل القصر، دلفوا إليه ومازالوا فى دهشتهم مستمرين وفي القاعة الرئيسية بمدخل القصر طلب منهم المرافق الجلوس حتي يقبل البيه لاستقبالهم.

مازلت عيون القوم تدور بحوائط القاعة تجول ناظرة متعجبة من الفخامة والرقة وتبادل البعض الأسئلة باحتمال خطئهم في الشخص الذي يرغبون في لقاءه، لم يخرجهم من حيرتهم سوي حضور البيه، البيه شاب في العشرينات من العمر يرتدي بدله أنيقة باش الوجه وأقبل مصافحاً معرفا نفسه:

ـ خالد عزت، علت البسمة وجوه الضيوف بأنهم لم يخطئوا العنوان أو الشخص، جلسوا وكل فرد منهم قام يعرف نفسه لصاحب القصر، أتي الخادم بفناجين الشاي برفقتها بعض من أطباق الحلوي، بادرهم الشاب محييا مرة أخري بأنكم أخوتنا أبناء فلسطين الذين يعانون الألم لاغتصاب أرضهم.

أثناء تناول الشاي والسعادة تشملهم تساءل كبيرهم :

ـ كيف حال سعادة القائم مقام؟ نظر الشاب إليهم صامتاً لفترة

قصيرة تخيلها القوم بأنها دهراً من الزمن خاصة لحظة ظهور لمعة حزن في عينيه .. أجابهم بهدوءه :

ـ بابا .. الله يرحمه.

ترك الرجال فناجين الشاي وتبادلوا النظرات الحائرة التي علت الوجوه لحظة دخلوهم القصر، تداركوا سهوهم قائلين تباعا البقية في حياتك، إنا لله وإنا إليه راجعون، تساءلوا :

ـ هل كان الباشا مريضا؟

ـ أبداً كان بصحة جيدة لكنه لاقي ربه أثناء قتاله مع الأعداء خلال المعركة التى قامت بينهم حول مدينة القدس المشرفة أثناء محاولة احتلالها، صمت الرجال والأصغر عمراً خرجت من عيونهم دمعة الحزن للفراق أما الأكبر عمراً فهتف صائحاً:

ـ لقد نال الشهادة في خير ميدان وموقع، وتساءل :

ـ كيف علمتم بالحادث؟

ـ إصابة شديدة في المعركة نقل علي أثرها بسيارة إسعاف عسكرية من ميدان المعركة إلي القاهرة، في المستشفي العسكري حاولوا إنقاذه لكن محاولاتهم التي استمرت يومين لم تنجح ولاقي ربه راضيا مرضيا، ساد المكان صمت لفترة ثم تساءل شيخهم:

ـ يعني المرحوم دُفن بالعزبة؟

ـ ايوه، في مقابر العائلة.

ـ هل يمكننا زيارة قبره وقراءة الفاتحة علي روحه الطاهرة؟

ـ بكل تأكيد، لكن بعد أن تتناولوا طعامنا وأعلم السبب في قدومكم لزيارته.

ـ الحقيقة إحنا تقابلنا معاه جنوب مدينة غزة قبل العمليات مباشرة وتعرفنا علي شخصه الرقيق والشجاع ودارت بعدها بعدة أيام معركة مع الأعداء استطاع بقواته أن يلحق بهم هزيمة منكرة رغم تفوق الأعداء عدداً وعدة، نضب مخزون قواته من الطعام، رغب أن نمده بالمعونة من غذاء وماء وعلاج جرحاه، قدمنا كل ما نستطيع له ولجنوده الشجعان قبل انتقاله بفرقته العسكرية قدم شكره لنا طالبا منا زيارته بمصر في تلك العزبة حين قدومنا وسوف يستقبلنا بما يليق بنا وقد أتينا إليه بعد أن ضاقت بنا المعيشة والمقام وبعد أن ُطردنا من ديارنا تحت قصف الأعداء، منذ قرابة الشهرين ونحن نسير يوما ونرتاح آخر حتي وصلنا بعون الله إلي مقره، لكنه كما كان شجاعاً في الحرب وسباقاً إلي التضحية بنفسه ليزود عن أرض المسلمين وكان أيضاً سباقاً إلي الانتقال إلي الدار الآخرة

فقد كان مرضياً عنه من الله دنيا وآخرة.

سكن ابن الشهيد وهو يستمع إلي بطولة والده التي لم يعرف عنها أحد لأن المصريين تعودوا كتمان كل ما هو قيم ولا يخرج إلي السطح سوي التفاهة من الأخبار والإشاعات وتلويث السمعة والاقلال من شأن أى بطولة أو إنجاز، نظر إليهم ولسان حاله يتسائل: لماذا لم تنشر الدولة بطولات ابنائها علي الشعب بدلا من تجرع مرارة الهزيمة دون ذكر البطولة إن الحرب هزيمة ونصر لكن الحرب أيضا بطولات وتضحيات من شباب هذا الوطن فلماذا لا يعلم الناس بكل تلك البطولات التي قام بها والده وجنوده ولاقوا ربهم شهداء فيكرمهم الله بأن يضعهم في مصاف الأنبياء والصديقين، لكن لا يذكرهم العباد بأي شيء جيد وحسن متجاهلين ذكراهم !!

أمر الشاب خدم القصر بإعداد الطعام لضيوفه الذين أبدوا تمنعا لأن يتناولوا أى طعام حتي أنهم لم يتذوقوا باقي فنجان الشاي لمجرد سمعاهم نبأ استشهاد البطل الذي ضحي بحياته من أجلهم ومن أجل إخوانهم في فلسطين، شعر القوم بأنهم هم الملومون في هذا وأن هذا الشاب الصغير الجالس أمامهم حُرم من والده وأصبح يتيما بسبب مشكلة خاصة بوطنهم

وليست خاصة بوطنه أو به، حاول كبيرهم الاعتذار لكن الشاب كان حاسماً مردداً بأنه لو كان والدي حيا يرزق أكنتم تقبلون الطعام؟

صمتوا جميعا حيث أن الشاب سألهم سؤالاً يعلمون إجابته اتجهوا إلي مائدة الطعام الفاخرة وتناولوا طعامهم وهم واجمون لكن الشاب كان حصيفا إذ أوضح لهم بأنه فخور بما قام به والده وجنوده وإنه ليشرفه أن يصبح ابناً للشهيد عزت سليم متسائلاً وهو يشير إليهم جميعا ومشيراً أيضاً إلي صدره ماذا سيكون عليه حالنا بعد خمسين أو ستين عاما؟ هل سنظل أحياء أو سنلقي الله كما أخبرنا في كتابه الكريم.

أكدوا جميعا بأن اصغرنا عمراً لن يكمل خمسين عاما وسيلقي ربه، إبتسم الشاب لهم مؤكدا حديثه، إذا لقد كرم الله أبي بأن منحه صك الشهادة فلماذا إذا الوجوم والحزن الذي يعتلي وجوهكم السمحة؟ ارجو منكم جميعا أن تشعروني بأن أبي لاقي ربه بعد أن قام بواجبه نحو وطنه ونحو المسلمين أسوة بالصحابة الذين نشروا رسالة الله مع نبيهم رسول الهداية محمد بن عبدالله.

هلل القوم تاركين التهام الطعام بعد أن أسبغت كلمات

الشاب ابن الشهيد الفرحة والبهجة علي وجوههم الحزينة أشار إليهم الشاب بتناول طعام الشهيد عزت سليم، اندفعوا إلي الطعام يتناولونه بشهية ومتعه كما أمرنا الله.

بعد الانتهاء من تناول الطعام جلسوا ثانية في قاعة الاستقبال الرئيسية يحتسون القهوة بعدها قال لهم الشاب:

ـ ما حاجتكم من الله وأستطيع أن أقوم بتلبيتها لكم؟ ترددوا في الإجابة خاصة كبيرهم الذي خجل من طلب ما يرغبون وجاءوا من أجله لكن شاباً صغيراً في عمر ابن الشهيد تجرأ وخالف العرف القبلي وذكر سبب مجيئهم؛ سمعه الشاب بهدوء وإبتسم لهم قائلاً:

ـ نعم أعمامي وإخوتي، سوف ألبي لكم كل ما طلبتموه من الله والذي سوف يعينني لأن أمد يد العون لإخوتي في الإسلام والعروبة وأكون امتداداً لمسيرة أبي الذي ضحي بحياته من أجل هذا الهدف النبيل، نظر في ساعة يده منبها بأن المساء سوف يقبل بعد ساعة فهيا بنا نقرأ الفاتحة علي روح الشهيد.

نهض القوم ورافقهم الشاب الصغير وفوجئ الجميع بانضمام طفلين في الخامسة عشر والثامنة إليه، أشار خالد ابن الفقيد يعرف الزائرين بهما، هؤلاء أشقائي الصغار و دائماً ما

اصحبهم لزيارة قبر والدنا ترحماً عليه وعلي كل من حارب وجاهد في سبيل مصر والعرب.

ظهرت الدموع التلقائية الحارقة في عيون القوم وزاد هذا من حزنهم على الشهيد الذى ترك هذين الصغيرين دون رعايته، تفهم خالد ما يفكرون فيه حيث قال باسماً : لماذا تنسون الله؟ دُهش القوم واستمر مُحدثاً : أيها الإخوة في السماء يوجد الخالق العالم بأمور عباده وسوف يرعي أشقائي الصغار أفضل آلاف المرات من رعاية أبي رحمه الله ألا تتذكرون حديث المصطفي عليه الصلاة والسلام حيث كان دائما ما يكرر حديثه هذا أمام الصحابة الأجلاء قائلاً: " أدبني ربي فأحسن تأديبي" صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم.

توقف القوم عن السير ناظرين للشاب بكل دهشة وإعجاب، بل شعروا بالضآلة أمام هذا الشاب، شعر خالد ما يدور بخلدهم حيث سألهم : هل تعتقدون بأن ما أقوله لا يتناسب مع عمرى؟ أنا أؤيد استفساراتكم ولتعلموا بأنني لم أكن علي هذا الحال لكن بعد انتقال أبي للحياة في الدار الآخرة تبدلت وتغيرت تصديقا لقول الله عز وجل في كتابه الكريم : قال الله تعالي:

" وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) صدق الله العظيم.

هتف القوم وقاموا بعناق الشاب وهم يرددون الله أكبر ولله الحمد يكمل خالد حديثه إليهم قائلاً:

منذ حياة أبي الثانية تبدلت من السيئ إلي الأحسن، فقد كنت مهملاً عملي بمتابعة العزبة بعد تخرجي من الجامعة ولم أكن مواظباً علي الصلاة ولا أهتم بالفقير أو المحتاج، كل هذا كان مخالفا لسلوك أبي وكان يصيبه الضجر والضيق، لكن بعد أن أبلغتنا المستشفي العسكري بما حدث لأبي وأنه أنتقل إلي جوار ربه في حياة ثانية أحسن وأبهج من الأولي، "توقف خالد باسماً" تخيلوا إلي جوار ربه، ليلة أن وصل جثمان أبي الطاهر من المستشفي وكان الوقت ليلاً فتمُ تكفينه ووضعناه علي سريره وجلست بجواره ناظراً إلي وجهه المشرق ولا أتقول بهذا لأنه والدي ولكن هذه حقيقة مؤكده لأن القرآن بشرهم بأنهم فرحين بلقاء الله، لا أعلم ما كنت أفكر فيه، كنت

أسمع نحيب أمي وشقيقاتي ورغم هذا لم أبال ولم أذرف دمعة واحدة عليه فقد شعرت بأن قلبي يزداد حجما وينمو بداخلي كما شعرت بهواء رطب منعش تسلل إلي جسدي مرافقاً التنفس وتأكد لي بان هذا الرجل المسجي أمامي سوف يصبح في تراب الأرض غداً.

حدثته متسائلاً مهنئاً : لقد حصلت علي كل شيء يتمناه أي إنسان مؤمن عاقل، لقد حاربت الأعداء وبُشرت بالجنة وجسدك أمامي لا يتحرك ولكن الله قال إنك حي قريب منه وبجواره، هنيئا لك ولكل من سار علي هذا الدرب.

نهضت من جلستي واتجهت إلي المكتبة الخاصة به وأتيت بكتاب الله الذي لم أكن أقرأ به إلا في شهر رمضان فقط واصطحبت شقيقاي وجلست أمام والدي وشقيقاي علي الأجناب وقرأت سورة الرحمن ولا أعلم ما حدث لي، من المحتمل أن أصابتني الهلوسةً وشعرت بأن جسدي ارتفع عن السرير بعدة سنتمترات ومازلت ناظراً إلي جثمان والدي وكأنني أشاهده يرتديُ حلة جميلة متجها إلي حفلُ عرس رائع.

أمضيت ليلتي علي هذا الحال وتبادل شقيقاى الصغيران قراءة القرآن وأثلج هذا قلوبهم الصغيرة فغادرنا العبوس

والحزن وتبدل إلي الإيمان بقضاء الله وقدره ونحن ننتظر يوم لقاء والدنا بالعالم الآخر.

انعكس هذا علي أمي وشقيقتى و ُدهشن في بادئ الأمر معتقدات بأنها حالة نفسية واكبت الحدث وبعد أن جلسن معنا ساد هذا الشعور الأسرة كاملة بعد أن اعتراهن الوجل والخوف من حجرة أبي فى السابق.

سار الرجال مترنحي الرؤوس باسمين فرحين حتي شاهدوا شواهد القبور وتبعوا الشاب وشقيقيه حيث توقف الجمع أمام قبر كتبت عليه بياناته علي لوحة رخامية"

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإن إليه راجعون

قبر الشهيد الأميرالاي عزت سليم الذي نال الشهادة

في معركة الشرف ضد الأعداء

ولد عام ١٩٠٠ واستشهد عام ١٩٤٨

قرأ الزائرون الفاتحة علي روحه الطاهرة وأقبل بعض المقرئين لهذا الغرض، قرأ البعض منهم جزء عم وانتهوا، عاد الضيوف إلي القصر برفقة أبناء الشهيد وأشرقت الوجوه بما لمسوه من هذا الشاب المؤمن القريب من الله كما أدهشهم هدوء

وسكينة الطفلين وبدا عليهما تتبع درب الشقيق الأكبر.

أمضي الجميع سهرة إيمانية وروحانية رائعة برفقة أبناء الشهيد بعد أن تناولوا طعام العشاء وأعُدت لهم المَضيفة الخارجية للقصر وسهر علي راحتهم رجال أبناء الشهيد.

اليوم التالي بعد تناول طعام الإفطار جلس خالد معهم وأخبرهم بأنه طوال الليل لم يغالبه النوم يفكر في حالهم وعلمت منكم بأنكم تعملون بالزراعة ورعي الأغنام ولهذا سوف أسلمكم جزءا من أرض العزبة تعيشون فيه وتعملون وناتج العمل يقسم بيننا حسب ما هو وراد في كتب الفقه.

حاولوا الاعتذار وأن الله سوف يعوضهم بمكان آخر ويكفيه رعاية ومتابعة العزبة وأشقائه لكنه كان مصمماً علي أن يقتفي أثر والده الشهيد، اتفقوا معه علي العودة إليه بعائلاتهم خلال شهرين حتى يُعدوا أنفسهم، حاول مساعدتهم بمبلغ من المال لكنهم اعتذروا في إباء وشمم واخبروه بأن رجلاً فاضلا يعمل صياداً علي نيل المعادى يستضيف أسرهم لديه وسوف يقضون تلك الفترة معه حتي يُعدوا أنفسهم وخلالها يشاركونه العمل ردا لجميل ومروءة قام بها وما دفعه من مال من جيبه الخاص من أجل أن يصلوا للقاء الصديق والشهيد.

طلب من معاونيه مرافقة ضيوفه إلي محطة القطار ودفع ثمن تذاكر القطار، جلس الرجال في القطار وهم في دوامة من الفكر لهذا البطل الذين التقوا به أول مرة بالقرب من مدينة غزة منذ عامين وبين هذا اللقاء بأبنائه الصغار عمراً والرجال فكراً وتصرفاً.

وصل بهم القطار إلي محطة الجيزة بعدها ركبوا عربة كارو يجرها بغل وكان هذا شائعاً في تلك الفترة، وصلوا إلي شاطئ النيل وشاهدوا بعض الصيادين فطالبوهم بأن ينقلوهم إلي منطقة الريس جابر.

هكذا وصلوا إلي عائلاتهم التي أسعدها أخبار ما نقل إليهم وشاب بعضهم الحزن علي ذكر البطل الشهيد وجميعهم يتذكرونه حينما كان ضيفاً عليهم مع جنوده أثناء الحرب مع الأعداء، كما اسعد هذا جابراً رغم أنه كان يبغي بقاء بعض الشباب لديه لمعاونته علي العمل حتي ينتهي من العلاج والذي أخبره به الطبيب منذ ثلاثة أيام.

جلس علاء النحلاوي في حديقة الفيلا بالعزبة يرنو ببصره إلي المساحة الشاسعة التي أمامه وملأه الغرور والزهو بنفسه بأنه قد أصبح قاب قوسين أو أدني من امتلاكه لكل زمام العزبة بعد أن نجح في التخلص من زوج شقيقته والقضاء عليه وشعر براحة بال بأن عملاءه قد اعترفوا بأنه لم يكن له ضلع في تلك الحادثة وتحملوا القضية كاملة رغم ما يتحمله من مصاريف لأسرهم نظير ذلك كما طمأنه المحامي بأن وضعه بالقضية كشاهد لأن أتباعه اصطحبوا المجني عليه مصطفي ربيع ولم يعلم عنه شيئا بعد هذا.

مازال علاء سعيداً بما قام به وفي آخر زيارة قام بها للاطمئنان علي شقيقته شيرين علي غير عادته نجح في إقناعها بأن تقوم بعمل توكيل رسمي عام لمحاميه بعد أن أخبرها بأنه قام بهذا من قبل كي يتمكن من التعامل مع أملاك الدولة وسداد بعض المتأخرات للضرائب، ابتسم لهذا بأن شقيقته ابتلعت الطعم ورافقته لمكتب الشهر العقاري والتوثيق ووقعت هناك بأن المحامي فايز مرقص موكل عنها بتوكيل رسمي عام لمراعاة شئونها وله الحق في التصرف في كل ما تمتلكه

ويمثلها شخصيا.

عاد إلي زهوه وخيلاؤه بعد سماع خطة المحامي بأنه سيقوم بكتابة عقد بيع بينه وبين شقيقته وبالتالي يحصل علي كل أملاك والده دون أن تشاركه شقيقته وبالتالي سوف تصبح المائتان وسبعون فدانا بما عليها ملكا خاصاً له وسيكتفي بأن يمنحها حق الإقامة بالعوامة ومبلغ مائتي جنيه مصاريف شهرية لها ولأبنها.

اتجه إلي سريره لحاجته للنوم مبكراً علي غير عادته وشعر بالحنين لأبنائه رغم أنه يشاهدهم مرتين كل شهر حين يأتي بهما ضابط من الشرطة يعمل في خدمة جدهما اللواء حمدي السيد ويظلان معه ساعتين ثم يعيدهما ثانية إلي فيلا المعادى التي يحيون بها مع أمهما.

خلد في نومه سعيداً قرير العين وكان قد مضي علي موت زوج شقيقته ثلاثة أعوام وانتهي من هذا النسب السيئ ظل يفكر بعد أن يحصل علي العزبة كاملة سوف يتزوج من صديقته اللعوب "فيفي" التي أغوته بجمالها وفتنتها بعد أن رافق صديقها السابق وهي بصحبته واستطاع بما لديه من فتنة ومال أن يفرق بينهما وأن تصبح خليلته التي طالبته بالعقد

عليها، طلب منها تأجيل ذلك حتي يُصبح المالك الوحيد للعزبة وتأتي لتعيش معه وينعما بكل خيرها.

راح في نومه ولم يدرِ كم من الوقت ظل نائما، لكنه هب من نومه مذعوراً ً مضطرباً وطلب من خفيره "توفيق" بأن يأتي له فوراً ً بعم بيومي.

تساءل الخفير عن من يكون عم بيومي، صرخ به علاء منبها بأنه ناظر العزبة، ثم تدارك الموقف بأنه قد فصله من عمله منذ ثلاثة أعوام غداة مشكلته مع المرحوم زوج شيرين وطلب منه البحث عنه، أفاده الغفير بأنه سوف يتوجه إلي منزله بمدينة الفيوم وهو يعلم مكانه حيث رافقه قبل ذلك إلي هناك.

صباح اليوم التالي أقبل بيومي افندي متخوفاً بأن يكون علاء يفكر في إيذائه أو الضرر به لكن لدهشته شاهده واقفا في استقباله منتظرا وعلي وجهه ابتسامة طيبة ً مصافحاً له، طلب منه الجلوس، جلس الرجل ومازال الخوف يعتريه، خاطبه علاء قائلا ً :

عم بيومي!! لا تغضب مني، كل إنسان له هفوة وكبوة ولقد طلبتك لغرضين لا ثالث لهما، الأول عودتك إلي وظيفتك

براتب مضاعف عما كنت تحصل عليه، الثاني بأن تفسر لي رؤيا شاهدتها وجاء إسمك بها.

أمس بعد نومي شاهدت أبي رحمة الله عليه حزينا وقد أعطاني ظهره ولم يرغب في محادثتي وعندما اقتربت منه مقبلاً يده طالباً منه أن يحدثني أشار إلي بضيق قائلاً أين أحفادي منك ومن شيرين؟ لقد دمرت العائلة بتصرفاتك الحمقاء وأنا غير راض عنك، حزنت وكدت أبكي وعاودت تقبيل يديه وهو مازال علي حزنه وهنا أمرني بأن أرسل في طلبك وسؤالك عن مذكراته التي كتبها وتركها وديعة لديك لحين طلبها منك وعليّ قراءتها لأعلم لماذا تصرفت هكذا.

دمعت عينا بيومي العجوز وحدث علاء قائلاً: اسمح لي بأن أناديك بابني، لقد تجاورت مع والدك في مدرسة الحقوق لأربعة أعوام كاملة وبعد التخرج افترقنا كل لعمله وحياته كان والدك رقيق الحال مثلي فنحن أبناء الفقراء فوالدى كان كاتبا أمام المحكمة يكتب العرائض والشكاوي لمن لا يقرأ ولا يكتب وهم غالبية الشعب المصري أما جدك النحلاوي فكان متخصصاً في ما يخص نحل العسل سواء إنتاج سلالات أو فرز العسل من الخلايا وقد ذاع صيته بين الناس وتكالب عليه

أصحاب خلايا النحل حيث كان ذكيا وخبيرا في مهنته مع الخلايا التي يقوم علي رعايتها والتى كانت تعطي عائداً كبيرا.

حاولت أن أكون شيئا فأستأجرت مكانا أمارس منه عملى أحد الأيام وأنا عائد من مكتبي المتواضع بحي السيدة زينب قابلني والدك وقد مضي علي فراقنا خمسة أعوام، تصافحنا وتبادلنا العناق وأخبرته بحالي وسوء دخلي من عملي وهو بالأحرى أخبرني بأنه لا يعمل بشهادته وكل ما يقوم بعمله هو مساعدة جدك في عمله وقد عاني معه الكثير بالانتقال بين المزارع والحقول لنقل الخلايا والتي يجب أن توضع في حدائق مثمرة حتي تمتص رحيق الأزهار وتنتج عسلاً صافيا رائقاً، جلسنا علي احدي المقاهى نستعيد ذكريات الماضي حيث مضي عامين علي إنتهاء ثورة ١٩١٩. افترقنا علي وعد بلقاء.

بعد خمسة أعوام جاء لزيارتي وأصبح علي أحسن حال متسائلاً عن أحوالي فأخبرته بأنني تزوجت منذ أربع أعوام ولدي طفلان وحالة المكتب في تحسن حيث كان سعد زغلول رئيسا للوزراء، نظر إليّ قائلاً : بيومي أغلق مكتبك وتعال نعمل معا، فلقد رزقنا الله من عنده وأحتاج إليك وسوف

أضاعف مرتبك وأمنحك سكنا كبيراً مجاناً.

إلي هنا سوف أصمت يا بني وسوف أعود باكرا لأسلمك ذكريات والدك، أستودعك الله.

غادر الرجل الفيلا عائداً إلي بيته بينما ظل علاء متحيراً من جده ووالده الفقيرين وقد أصبح والده ميسور الحال وعضو بمجلس النواب، كيف تم هذا وهل عثر علي كنز؟

اليوم التالي اقبل بيومي أفندي حاملاً كراساً ناوله لعلاء طالباً منه الحفاظ عليه وبعد أن يطلع عليه يعطيه لشقيقته لتطلع هي الأخرى عليه حتي يكون هناك مساواة بينهما، شكره علاء بإيماءة من رأسه طالباً منه التوجه لتقلد مهام عمله.

جلس علاء في حجرة مكتبه يطالع مذكرات والده، قص والده كل ما سبق وأخبره به بيومي حتي وصل إلي ما لم يحدثه به حيث كتب :

رافقت أبي للعمل بعزبة صدقي باشا ناظر الري "وزير الري" الذي رشح والدي لرعاية أسراب النحل لديه والذى كان ينافسه في هذا المجال رشيد باشا ناظر التجارة، في العزبة قمت مع والدي بكل شيء وحصلت علي ليسانس مدرسة الحقوق منذ شهرين، كنت طامعاً بأن أتقلد منصباً هاما في

النيابة أو القضاء لكنني أصبحت صبيا لوالدي أحمل معه الخلايا والصناديق الخشبية من بستان لآخر ونلت من جراء هذا الكثير من لدغات النحل.

مضي عامان علي عملنا وشعر الباشا بمتعة عالية لتفوقه علي منافسه في تربية النحل والحصول علي عائد كبير منه مما دفع برشيد باشا منافسه للاعتراف بأن صدقي باشا فاز عليه، خلال هذا كنت أشعر بسعادة فى العمل رغم حبي ولهفتي لرؤية أمي وإخوتي فأنا الأكبر عمراً ولهذا تحملت عبء مساعدة أبي لنرفع من مستوي معيشتنا المتدني.

كان لصدقي باشا طفلة رائعة الجمال والحسن، بمضي الأعوام نمت وأصبحت عروساً يافعة وعلمت أن أسمها "نازك" لكن لم يسبق لى أن شاهدتها من قبل وفى أحد الأيام وأثناء عملي سمعت صراخا فتركت ما معي وهرولت ناحية الصوت فإذ بي أشاهد فتاة جميلة غضة الإهاب تعدو مسرعة وخلفها سرب من النحل، أسرعت الخطي وقبل أن تلحق بها أسراب النحل كنت قد خطفتها وقفزت بها إلي جوف مياه لمجري مياه الرى بالعزبة.

عادت أسراب النحل مبتعدة خشيه المياه، نظرت إلي الفتاة

التي كانت متعلقة برقبتي حتي لا تغطس في الماء وتغرق كان وجهنا قد التصق دون عمد، فالموقف هو الذي دفعنا إلي هذا، فجأة ابتسمت وضحكت ومازالت متعلقة برقبتي، طلبت مني إخراجها من الماء، أثناء حملها وخروجي بها من الماء تزحلقت قدماي وهبطنا معاً نتدحرج علي جسر الترعة حتي غطسنا في الماء بين ضحكاتنا وسعادتنا.

فجأة أقبل الباشا وبصحبته بعضا من معاونيه حينما نما إلي سمعهم بأن ابنته تعرضت لهجوم أسراب النحل، شاهدت الفتاة والدها علي حصانه فأشارت إليه بسعادة، تعاونت معها للخروج من الماء بعد أن ابتلت أجسادنا وملابسنا، نظرت لوالدها تخبره بأن هذا الشاب شجاع وفارس وغامر بحياته من أجل أن ينقذها ولولا ذلك لقتلتها أسراب النحل من كثرة اللدغات.

نظر إليّ الباشا باشا سعيداً يستوضح مني.

ـ أنت مين؟

ـ أنا يا ساعات الباشا أبقي عبدالغفار بن سيد النحلاوي، ابتسم الباشا

ـ آه تبقي لك خبره في النحل وعلشان كده قدرت علي النحل

اللي كان عايز يلدغ "نازك" مش كده برضه؟

ـ أبداً يا ساعات الباشا، النحل تبعنا حلو ويطلع عسل ومش ممكن اللي يطلع العسل يضر العسل اللي زيه!! ابتسم الباشا وغادر المكان بصحبة ابنته ومعاونيه بينما أشارت إليّ نازك بعلامة بيدها أي مع ألسلامه وشكراً.

منذ ذلك اليوم تعلق قلبي وعقلي بتلك الفتاة التي تبعد عني مسافات شاسعة اجتماعيا وماديا، فأنا أحد العاملين لدي والدها ولا نملك سوي ما يدره النحل من عائد يحصل والدي علي جزء منه يبيعه لتقتات منه عائلتي.

اليوم التالي أقبلت نازك تحادثني وتعيد شكرها وامتنانها لي وبأنني شجاع وجسور وأشبه الشاطر حسن الذي أنقذ الأميرة ست الحسن، كانت تتحدث معي وأنا في حالة من الانبهار والدهشة والسعادة لرقتها وجمالها، كان جمالها فاتناً لأقصي درجة، فهي بيضاء اللون وذات شعر أصفر وطويلة نسبيا وعيونها عسلي وتجيد ركوب الخيل ودائما ما تحدث العاملين وخاصة الفلاحات وتعمل علي حل مشاكلهن الكثيرة والمتعددة والتي تنحصر في المرض والفقر وكثرة الإنجاب.

تعددت اللقاءات وتحول الأمر إلي الإعجاب، لكن الحب

توقف أمام صخرة الوضع الاجتماعي للفارق الشاسع بيني وبينها، كانت نازك ذا رأي صائب.

أحد الأيام بعد أن وصل كيل الحب منتهاه أمسكت برسغي كطفل صغير وتبعتها دون مقاومة، سارت بى حتي دخلنا القصر الذي كنت أخشي المرور قريباً منه، شاهدت والدها جالسا مع والدتها خلف الزجاج الخارجي نظراً لبرودة الشتاء الزاحفة، نظر إلينا الزوجان وهي تحادثهما بكل عذوبة قائلة : أبي هذا هو الشاب الذي حدثتك عنه ولا انوي الزواج من غيره، صمت الباشا وامتقع وجه أمها شكرية هانم، بسرعة تداركا الموقف وابتسما ثم ضحكا من تلك التمثيلية الكوميدية.

كان وجهي أحمراً قاني اللون يكاد ينصهر من شدة السخونة التي صاحبتني، لم تضحك "نازك" بل أعادت تأكيد حديثها، أشار إليّ الباشا بالجلوس فامتثلت لأمره ونظر إليّ فاحصاً متسائلاً:

- إيه رأيك في الحكاية دية؟ تنفع وإلا تبقي مش معقولة؟

لم تدعني أجيب علي السؤال وأجابت والدها، أبي أن جدنا الأكبر محمد علي باشا كان ضابطاً عاديا في الفرقة الألبانية منذ مائة وعشرين عاما وأصبح حاكما علي مصر، لا يجب أن

نقيس البشر بالأموال لأن هذا سيضر بنا وإلا أصبحت أسرة الجد محمد علي لا تساوي شيئا لأنه كان فقيراً فقراً مدقعا ولا يملك سوي راتبه ألذي يحصل عليه من الخليفة بالأستانة ثم بعدها من والي مصر.

طلب منا والديها بأن نتركهما بمفردهما وأن نجلس بحديقة القصر نتحدث معاً، كان موقفي حرجاً للغاية، ورغم رغبتى في نازك وشوقى لها لكن كما سبق ونوهت أنني لا أملك الإمكانيات والصفات التي تساعدني على تحقيق حلمي هذا فهو حلم صعب بعيد المنال.

حينما غادرنا القصر للخارج لفحتنا برودة الشتاء القارص فخفضت قليلاً من سخونة وجهي الملتهب وأفضيت إلى نازك بأنني لن أنال رضا والديها لأنني لا أمتلك المقومات لذلك ربتت علي خدي قائلة: بل تملك أيها الشاب، تملك حبك لي وحبي لك وهذا هو المهم والأهم ووالداى يراقباننا الآن ليعلما هل نحن في حالة حب تساعد علي نجاح الزواج من عدمه؟

بعد قليل خرج الباشا بصحبة زوجته باسما ليخبرنا بأنه وافق علي زواجنا مما دفع نازك إلي الصراخ والقفز علي والدها حتي كاد أن يسقط أرضاً لولا تدخلي لمساعدته، مضت

الأيام سريعة جميلة وتزوجنا وأنجبت في العام الأول ابني علاء الذي أتمني أن يُصبح نموذجاً للحب والإخلاص والعمل والعصامية كأجداده وبعدها بأربعة أعوام أنجبنا الغالية شيرين التي حصلت علي حُسن خصال جدتها شكرية هانم.

مضت الأيام وأسرع شهاب والديها بالهرب من الدنيا للآخرة وتبعهما والدي ثم والدتي والآن أشاهد كلاً من علاء وشيرين وهما يخطوان إلي مرحلة الشباب اليافع سعيداً بهما راجيا من الله أن يغلفهما بالحب والمودة والرحمة مثلما كانت تفعل أمهما الراحلة حبيبة قلبي "نازك". هكذا انتقلت ملكية العزبة من صدقي باشا إلي ابنته نازك ورغبت هي في إطلاق اسم النحلاوي عليها ليساير لقب عائلة أبنائها "علاء وشيرين" . وصيتي الأخيرة بأن يتحاب ابنائي علاء وشيرين وأوصي علاء بصغيرتى شيرين، فهي نواره حياتي مثلما كانت رحيق الحياة لأمها "نازك".

***

جلس علاء هامداً بعد أن قرأ مذكرات والده، قبل صفحاتها مراجعا نفسه محاورا : في مساء أمس أشاهد والدي في المنام غاضباً أفكر : ما حكمة أن أراه في المنام ويخبرني

بما كتبه من مذكرات تخص حياته الشخصية، ظل علاء هامداً من تأثير ما قرأ وما شاهد ثم لملم أوراق نفسه المبعثرة وقال هاتفاً : إنها رسالة لي من العالم الآخر بأن والدي كان مثل المرحوم مصطفي زوج شقيقتي فقيراً معدما ووافق جدي صدقي باشا علي زواجه من ابنته ولم يطرده من رحمته خارج العزبة مثلما فعلت مع أسرة شقيقتي، لقد كنت جاهلاً أعمي البصر والبصيرة ويجب علي إصلاح ما أفسده شيطان عقلي الخرب.

قرر بأنه في صباح اليوم التالي سوف يحمل مذكرات والده إلي شقيقته ويتركها لتقرأها ويقدم اعتذاره لها، في مساء نفس الليلة سوف أتوجه لمكتب المحامي خرب الذمة وامنعه من نقل ملكية شيرين إليّ وأيضا سوف أتوجه لزيارة اللواء حمدي مقدماً اعتذاري له ولأبنته صافيناز وأعمل علي جمع شمل أسرتي التي تفككت منذ ثلاثة أعوام، نام علاء تلك الليلة قرير العين بعد أن أرشده الله إلي الطريق القويم وطلب منه أن يوفقه فيما انتواه من خير.

علـي شـاطئ نـهـر النيـل الشـرقي جلـس جـابر وزوجتـه مـع ضـيوف مصـر يتبـاحثون فـي عـرض خـالد نجـل الشـهيد عـزت سـليم، اتفقـوا بعـد نقـاش علـي أن عائلـة "مُـسعد" تتوجـه إلـي عزبة سليم يعملون معهم بينمـا تظل عائلـة " سَلمان" باقيـة مـع جـابر بعـد أن راقتهم حرفـة صـيد الأسـماك خاصـة أن البـعض منهم كـان يعمل فتـرة الصـيف علـي سـاحل البحـر الأبيض فـي مدينة غزة في صيد الأسماك من مياه البحر الأبيض.

أحـد الأيـام توجـه جـابر إلـي عوامـة الطبيـب شـوقي النجـار وأخبره بأنه علي أتم الاستعداد لإجراء العمليـة الجراحيـة التـي وعده بها، أسعد هذا الطبيب وحدد له موعداً للقائه بالمستشفي، يـوم إجـراء العمليـة توجـه جـابر إلـي المستشـفي بصـحبه أحـد الشـباب الفلسـطينيين، هنـاك أجـروا لـه أشـعة اكس وتبـين بـأن المفصـل قـد التـئم بوضـع غيـر سـليم وهـذا أدي إلـى سـيره بتلـك الطريقة المرهقة والمؤلمة.

طمأنه الطبيب وأعطاه موعداً بعد ثلاثة أيام، عاد جـابر فـي الموعـد إلـي المستشـفي وهنـاك أجريـت لـه عمليـة مضـاعفة الأولي إزالـة اللحـام السـابق وكانـت عمليـة مرهقـة للقـائمين بهـا

ومن أجل هذا حُقن جابر بمخدر كلي، أما العملية الأخرى فقد أجريت لاستعدال وضع القدم بوضعه السليم ووضع بداخل الجبس، استمرت العملية خمس ساعات، بعد مُضى ثلاثة أيام أذن له الطبيب فى الخروج على أن يعوده بعد أربعة أسابيع لفك الجبس، عاد جابراً بجبيرة وظل جالساًعلي شاطئ النيل مُوجها ومُرشداً لشباب الصيادين الفلسطينيين الذين بذلوا من الجهد الكثير عوضاً عن جهد جابر الذي ثبت لهم بأنه رئيس للصيادين بكل جدارة.

كانت "روايح" حزينة لحال زوجها القابع أسفل شجرة يرنو إلي مياه النهر بكل شوق وحنين، لقد امضي أكثر من عامين يجوب شواطئه صيداً وبيعاً، رغبت روايح في مواصلة مهمة البيع ولهذا كانت تصطحب معها بعض النساء من الضيوف وتجوب بهم منطقة عوامات الجيزة التي أصبحت تبتاع أسماكها من جابر وزوجته.

في أحد الأيام طلبت بهيجة خادمة شيرين من "روايح" أن تتوجه إلي العوامة حيث أن سيدتها ترغب في شراء بعض الأسماك منها، توجهت روايح سعيدة فرحة وأثناء عملية البيع ومعاينة الأسماك سألتها شيرين عن سبب تغيب زوجها

أفادتها روايح بأن زوجها مريض وأجريت له عملية جراحية في الأسبوع الماضي ومازال طريح الفراش.

جلست شيرين في حجرتها اتقاء برودة الشتاء القارص من شهر يناير، خلال تلك الفترة كانت المملكة المصرية تغمرها الأفراح والسعادة لإنجاب الملك فاروق والملكة ناريمان وليا للعرش وبهذه المناسبة أنعم الملك علي الكثير من علية القوم بلقب البيه والباشا وأعفي عن المحكوم عليهم بالسجن من إستكمال عقوبتهم وساد مصر شعور عام من التفاؤل والبهجة.

***

ودارت الأيام وتخيلت شيرين أنها سمعت صوت شقيقها علاء بالعوامة وتوترت لهذا فهي غير راغبة في لقائه، تحاملت علي نفسها للقاءه فلا يجب عليها إعلام الخدم بتلك المشاكل استقبلته بفتور بينما استقبلها شقيقها استقبال الأخ الحنون المُحب فاقترب منها محتضناً مقبلاً وجنتيها وربت علي كتفيها معتذراً متسائلاً عن أحوالها ثم ناولها مذكرات والدها والتي ما أن فتحت الكراسة حتي قبلت الأوراق التي كتب عليها والدها بخط يده، سقطت الدموع التلقائية وهي تنظر إلي شقيقها الواقف أمامها محاولا إرضاءها بابتسامة مشجعة معتذراً بأنه

حاول اصلاح شيئ ظنه فاسداً فقلب حياتها حزنا وألما، فقد عاودتها ذكري الأب الحامي المدافع عنها وعن زوجها وهذا الشقيق الذي قلب حياتها عذابا وتسبب في فقد زوجها، نظرت لتلك الصفحات نظرة حانية تملؤها الأشجان وذكريات الأب ثم عادت لتقبيل الأوراق التى هي من رائحة الأب الحبيب.

تركها علاء بعد أن طيب خاطرها وأثناء وداعه لها انحني مقبلاً يدها؛ توترت شيرين غير مُصدقة بأن شقيقها الأهوج أصبح رحيما وذا قلب أبيض يشعر بالآم الآخرين، غادرها متجها إلي مكتب المحامي ليطلب منه بألا يقوم بأي تلاعب في التركة حيث قرر أن يسلم شقيقته كل مستحقاتها.

غادر علاء مكتب المحامي بعد أن أخبره برغبته التي أتي من أجلها، ابتسم الرجل ابتسامة إبليس حيث قام بكتابة عقد بيع عزبة النحلاوي بين كلٌ من شيرين وعلاء عبدالغفار النحلاوي إلي فايز مرقص نظير ثمن إجمالي وقدره مائتين وسبعين ألف جنيه مصري أي بواقع ألف جنيه للفدان وأن البائعين تسلموا منه المبلغ عداً ونقداً وقام بوضع أرقام التوكيلين علي عقد البيع ولهذا عقد العزم علي التوجه صباح الغد إلي مكتب التوثيق كي ينقل ملكية الأرض إليه ويستولي عليها متحايلا علي القانون

حانثا بقسم شرف المهنة.

بعد أن تقابل المشتري بالنصب والاحتيال وخيانة الأمانة مع موظف الشهر العقاري راوغه الأخير طالبا منه بأن يعوده بالغد لأنه مشغول في ذلك اليوم ويجب عليه أن يكون صافي الذهن لنقل تلك المساحة الكبيرة إليه، اقترب الموظف من أذن المحامى طالبا منه إهداءه بدله شتوي يتقي بها برودة الطقس وافقه المحامي مشيراً إليه بأنه سيحصل منه نظير إنهاء تلك الإجراءات علي مبلغ عشرة ألاف جنيه، وعده بها باكراً عندما يأتي له بالأوراق والبدله بعد أن اخبره الموظف برقم المقاس.

في مساء هذا اليوم توجه المحامي لمحل شيكوريل والذي يعلم عنه بأنه من أحسن وأكبر المحلات لبيع الأزياء الراقية ابتاع البدله بالإضافة إلي الكرافتة والقميص وأثناء ذلك كان يدعو علي الموظف بألا يعطيه الله العمر لارتدائها من كثرة جشعه.

بعد أن دفع ثمن ما اشتراه وهم باستلام البدله سمع صياحاً وصراخاً ازداد قوة وأعقبها ظهور أدخنة ازدادت كثافة وأسرع الزبائن بالهرب من شيكوريل بينما حاول المحامي استلام البدله التي تركها الساعي خوفا علي حياته ولم ينقلها إلي مكان

تسليم المشتريات مما دفع بالمحامي إلي الصعود لقسم البدل الرجالى لمحاولة الحصول عليها كي يُنهي صفقته غدا، ظل يقاوم للصعود بنما الناس هبوطا وعرقلوا صعوده وازداد الأمر صعوبة بعد استنشاقه للدخان مما جعله يسقط أرضا محاولاً التنفس لكن النيران كانت أسرع منه وأتت عليه دون رحمة فأحرقته مع أوراق التدليس التي كانت بحوزته ولم تتركه إلا رماداً.

لقد استجاب الله لدعوته بألا يقوم موظف الشهر العقاري بارتداء البدله، هكذا كان الخالق رحيما بكلٌ من شيرين وعلاء وأنقذهم من هذا النصاب الذي لقي حتفه مع أوراقه.

أصاب الناس في مصر صدمة قوية من حريق عاصمة المعز مدينة القاهرة في السادس والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ وأصاب الجميع التوتر خوفاً من أن تمتد يد التخريب إلي باقي أرجاء الوطن، فالملك مشغولٌ بابنه والاحتلال مازال جاثما علي أرض الوطن.

***

غادر جابر المستشفي بعد أن أزال عنه الطبيب الجبس الذي أحاط بقدمه وشعر الطبيب حين اختبر مرونة قدمه بأنه

أصبح أحسن حالا ولهذا طالبه بألا يحمل على قدميه أى مجهود شاق حتي تزداد عظام الساق قوة وتماسكاً كما طالبه بالسير مسافات قصيرة يوميا تزداد تباعا حتي يشفي تماما وجه جابر الشكر والتحية إلي الطبيب الذي إبتسم له سعيداً حيث اخبره بأنه أسعد حالاً منه لأنه استطاع بفضل الله أن يخفف عنه آلامه.

هلل ضيوف جابر حينما شاهدوه قادما يسير دون أن يزك كسابق عهدهم به، جلسوا سعداء يطربون ويحتفلون به ووزعت الحلوى وأقيمت مأدبة طعام عامرة حضرها إخوة روايح وكانت أساطيل قوارب الصيد تملأ الشاطئ وأقبلت عليهم روايح مزهوة بنفسها وزوجها التي استطاعت بسحرها وفتنتها بأن تأسر قلبه بداخل شباكها وتجمع كل جوارحه بيدها حتي استولت عليه وأصبح هو الزوج والحبيب وأب ابنتها سعاد.

نهاية شهر مارس من نفس العام أصبح جابر يسير كسابق عهده قبيل الإصابة كما اصبحت حركته أنشط عن الماضي مما دفعه إلي الثقة بنفسه أكثر وطوال الفترة السابقة التي شاهد فيها شيرين وابنه عمرو وهو دائم التفكير فيهما وفي نفس

الوقت شعر بأنه سيواجه موقفاً شائكاً إذا رغب في عودة وصلة الحب والود مع زوجته الأولي لقيامه بالزواج من شيرين التي تعشقه وتحبه وقاطعت شقيقها من أجله ثم كافأها بعد ذلك بأن يأتي لها بضرة لا تساويها قدرأولا حسبأولا نسباً.

شعر بتوتر غلف سعادته وجثم علي صدره لينزع عنه الهدوء والسكينة ليقضى أيامه فى صمت كصمت القبور في ليل شتاء بارد، طرد كل هذا وقرر أن يبدأ بالخطوة الأولى لكن كيف هذا وقد علمت زوجته بوفاته وترحمت عليه أمامه.

حصل جابر علي بعض المال من إيراد بيع أسماكه وتوجه لأحد محلات الأزياء وأشتري بدلة أنيقة والقميص والكرافت وحذاء أجلسيه اسمر وزجاجة كولونيا رجالي من النوع الذي كان يستخدمه فى السابق كما اشتري زجاجة برفان من النوع التي كانت تعشقه شيرين وقرر أن يتوجه إليها في إحدي الأمسيات بعد أن أقبل فصل الربيع، سوف يجلس معها ويداعبها ويعيد ما أنقطع بينهما طوال تلك الفترة الزمنية التي تعدت السنوات الأربع.

بأناقة غير معهودة غادر معسكرهم الطبيعي علي شاطئ النهر بين صيحات التقدير والإعجاب خاصة النساء اللائي

شعرن بوسامة هذا الصياد وأنه يجيد اختيار ملابسه مثل الفنان الشهير أنور وجدي ومطرب الملوك محمد عبدالوهاب، أبحر بقاربه منفرداً متجهاً إلي العوامة والشوق يدفعه إلي زيادة التجديف راغباً بالوصول إلي حبيبته الأولي وأم ابنه، كان راغباً في كشف حقيقة نفسه بعد أن تصالح مع بدنه بعلاج الإصابة وتصالح مع نفسه بالعودة إليها مقاوماً شقيقها علاء مهما كلفه هذا خاصة أنه أصبح ذا قوة سواء من عشيرة زوجته روايح أو من أبناء فلسطين الذين يكنون له كل الحب والتقدير.

وصل القارب إلي العوامة وربط الحبل بها ثم غادره وتسلق سلم العوامة كالفهد وحين صعد دق علي بابها الداخلي فأتت الخادمة بهيجة وفتحت الباب ونظرت إليه وزادت حدقة عينيها اتساعا وبرزت للخارج لهول المفاجأة وصرخت وسقطت أرضا مغشيا عليها مما دفعه للهرب بعد أن تنامي إلي سمعه صوت زوجها راغب الخفير الذي صاح مناديا "حرامي".

أسرع جابراً يجدف بأقصى سرعة قبل أن يلحق به القوم واستطاع أن يفلت من قبضتهم مقترباً من العائمات المجاورة

حتي إبتعد عن انظار الذين أسرعوا لنجدة صاحبة الصرخة.

وصل جابر إلي موقع عشيرته علي ضفاف النيل لاهثاً مضطرباً لما سمعه وكاد أن يلقاه الأذى والضرر الذى كان بعيداً عن فكره وخاطره، لقد كانت مشاعر الحب دافعة له واعتقد عكس ما جري، استقبلته روايح وأصدقاءه وشعروا بأنه قابل موقفاً سيئاً لحالة التوتر والعرق الغزير الذي بلل قميصه وغطي وجهه بلمعة واضحة.

عادت شيرين من زيارة صديقتها "صافيناز" الزوجة السابقة لشقيقها وابنة اللواء حمدي الذي أظهر غضبته علي زوج أبنته لما قام به مع زوجها الراحل مصطفي والذي كان دافعا للنحلاوي ومؤيداً لهذا الزواج، وحين يلقى مصطفي بالعزبة يشد علي يديه سعيداً بهذا الشاب المكافح المخلص في عمله مشيداً بما يقوم به من جد وابتكار.

أقبلت شيرين علي العوامة فسمعت لغطاًوضوضاء وخامرها اضطراب وقابلتها الدادة أم حافظ وأخبرتها : "بأن البت بهيجة مخها تلف ولف وبتشوف حاجات عمرها ما تحصل".

توجهت شيرين إلي خادمتها المخلصة التي عاصرت بداية

قصة حبها وزواجها من مصطفي وشاهدت كل ما أعقبها من أحداث.

مجرد أن شاهدت بهيجة سيدتها شيرين صرخت طالبة منها الحماية من العفريت الذي أتي هذا المساء للعوامة سألتها بتردد وصاحبها حالة من الارتباك عما شاهدته، لكن زوجها راغب أخبرها بأنه سمع صراخ زوجته فصعد من أسفل لأعلي فشاهدها مغشياً عليها أرضا وساعدته أم حافظ واستطاعا إفاقتها وكانت تردد "عفريت الباشمهندز مصطفي".

وقفت شيرين وتخضب وجهها الجميل بلون أحمر قان وصاحبها التوتر أيضا وتذكرت بأنه سبق وأن زارت قبره في بلدته قريباً من مدينة أبو كبير بمديرية الشرقية وتقابلت مع أشقاءه، لقد مات مصطفي وأثبتت الحكومة ذلك ودفن بمدافن الأسرة وأشقاءه يعلمون هذا، هل يعقل أن يكون شبيها به؟ هل هو شبح لهذا المتوفى غرقا، أعتقد أن بهيجة من شدة حبها لي ولمصطفي شاهدت رجلاً قريب الشبه بالراحل واعتقدت بأنه هو، تذكرت حين شاهدت الصياد الذي يزك علي قدمه واعتقدت بأنه شقيق زوجها مصطفي.

ربتت علي خدها مطمئنة لها بأن كل هذا نوعا من الوهم

والاضطراب، بعد قليل جاء راغب ممسكا بعلبة جميلة صغيرة الحجم ومربوطة برباط أحمر حرير وسلمها لسيدته واخبرها بأنه شاهد هذا الصندوق الصغير بجوار زوجته أرضا أثناء حالة الإغماء، أمسكت شيرين بالعلبة وقرأت ما عليها من الخارج ودق قلبها ضربات سريعة وفتحتها ووضعت قليلا منه علي خديها وسرحت في فضاء لا نهائي واعتقدت بأن مصطفي نائم بجوارها يداعبها ويقبلها وراحت في نشوة وسكرة، إستفاقت وتنبهت بأن ما شاهدته بهيجة لهو شيء واقعي لكن كيف؟

جافاها النوم وظل عقلها ساهراً وأصبح مثل بيضة فاسدة ترتج دون فكر ورأي، في الصباح وقفت تراقب مراكب الصيادين كعادتها وتشاهد صفحة النيل اللامعة علي ضياء شمس شهر ابريل، شاهدت قوارب السباق الرياضية التابعة لبعض الأندية والشباب علي متنها يحاولون التسابق بين كل قارب وآخر وانقضى اليوم لكنها لم تشاهد قارب روايح ومازالت منتظره لعلها تقدم لها يد المساعدة في فك طلاسم ذلك الشبح الذي هاجم خادمتها بالمشاهدة المباشرة وهاجمها بعطرها المميز والتي تعشقه.

ظل جابر قابعا علي الشاطيء وترك الآخرين يقومون بالعمل ومازال التوتر مسيطراً عليه وراجع أفكاره.

هل أخطأ أم لم يخطئ؟ اكتشف بأنه أخطأ خطأً فادحاً بأن تشاهده الخادمة علي هذا الوضع وهي تعلم أنه لاقي ربه منذ أربعة أعوام، يجب عليه تدارك هذا الأمر فيما بعد، فقد يصيب حبيبته صدمة عصبية ولابد أن يمهد للقائه بها وألا يهاجمها مباشرة، قطع خلوته بائع جرائد أتي ليحصل علي بعض الأسماك الطازجة، شاهد العديد من الصحف المصرية معه فطلب منه نسخة من جريدة المصري التي كانت تميز صفحتها الأولي صورة علم المملكة المصرية الأخضر مزينا بهلال وثلاثة نجوم باللون الأبيض.

رفض البائع الحصول علي خمسة مليمات ثمن النسخة وأخبره بأن النسخة التي بحوزته من النوع التالف الذي لا يحاسب عليه ماديا، شاهد الجريدة وأسعده أن يحصل علي بعض المعلومات والأخبار التي لا يعلم بها إلا بعد فترة من حدوثها بعد تناقل الناس بتلك الأخبار فلا توجد أجهزة راديو تبث برامج الإذاعة ولا صحف في عزبة الصيادين.

مجرد أن فتح صفحة الحوادث حتي شاهد وقرأ حكما

صادراً علي ثلاثة من الأشقياء بالقتل العمد وسبق الإصرار والترصد ضد المجني عليه مصطفي ربيع في صيف عام ١٩٤٨ والحكم الصادر من محكمة الاستئناف هو الإعدام شنقاً للرجال الثلاثة وذكرت أسماءهم.

قذف بالصحيفة جانباً وهاجمه شعور بأنه شريك في إعدام هؤلاء الرجال الثلاثة، فمازال حياً يرزق، تساءل ماذا هو فاعلٌ؟ قرر بأن عليه محاولة إيقاف إعدام هؤلاء الرجال وعليه اللحاق بهم رغم أنه قرأ بأنهم دفعوا بالقضية إلي محكمة النقض وقد ينظر النقض أو يرفض وسوف يعدمون ُظلما.

اليوم التالي أرتدي ملابسه الأنيقة وأتجه إلي الطريق العام القادم من جهة المعادي واستقل أتوبيسا حتي وصل إلي وسط القاهرة وهناك اتجه إلي مكتب النائب العام، رفض مدير مكتبة أن يسمح له بلقائه فهو مشغول لكنه أشار إلي ما كُتب بالجريدة وأضاف بأنه المجني عليه مصطفي ربيع ولم يغرق أو يقتل وهو حي يرزق.

نظر إليه الموظف بكثير من الريبة والشك منبها ومحذراً بأن ما تقوله لو ثبت عدم صدقه سيحولك النائب العام إلي المحاكمة العاجلة، أجابه مصطفي بأنه مستعد لأي شيء ولينقذ

أرواحاً بريئة من جناية قتله رغم أنهم قاموا بتعذيبه وكادوا أن يقتلوه، اختفي مدير مكتب النائب العام قليلاً ثم عاد وأشار إليه بأن يتبعه، وجد مصطفي نفسه واقفا بغرفة فسيحة معدة بطريقة جميلة وبها مكتب كبير يجلس عليه رجلٌ وقور فحياه ورد الرجل بالتحية وأشار إليه بالجلوس.

جلس مصطفي وعرض قضيته منذ تعاركه مع شقيق زوجته وتدخل هؤلاء المجرمين وأوسعوه ضربا ثم حملوه وقذفوا به في النيل لولا العناية الإلهية لغرق وأكمل سرد باقي قصته، سأله النائب العام وما يدريني بأنك مصطفي ربيع؟ هل معك شيء يثبت ذلك؟

(لم تكن البطاقات الشخصية قد ظهرت للوجود بعد) قال : ليس معي ما يثبت بأنني مصطفي ربيع لكن كل من شاهدني قبل الحادث سوف يتعرف عليّ، تساءل: أذكر لي بعض الأسماء ذكر له اسم عم بيومي ناظر العزبة واسم زوجته شيرين واللواء حمدي السيد، دُهش الرجل متسائلاً : هل أنت علي علاقة باللواء حمدي السيد مدير مصلحة الأمن العام؟ أجابه بتأييد ما يثبت ذلك وأخبره بقصة نسبه مع علاء شقيق زوجته شيرين.

رفع الرجل سماعة التليفون طالباً اللواء حمدي السيد وتحادث الرجلان لوقت قصير، انتهي الحديث ونظر النائب العام إلي مصطفي قائلاً : عشرة دقائق وسوف يحضر الرجل ونعلم الحقيقة، طلب من مدير مكتبه بأن يصطحب معه المدعو مصطفي ويعين عليه حراسه لحين حضور اللواء حمدي علي ألا يشاهده اللواء حمدي قبل لقائي به ويدخل من الباب المخصص لي مباشرة، ترك مدير مكتب النائب العام تعليمات بذلك للحرس الخاص علي الباب، جلس مصطفي بداخل غرفة المكتب وخصصت حراسة مشددة علي بابها خوفاً من هربه لحين حضور اللواء حمدي.

أقبل اللواء حمدي سعيداً بدعوة النائب العام له باحتساء فنجانا من القهوة معا حيث ألح الرجل عليه وأن الغرض من وراء هذا هو العمل مما أضحك النائب العام، بعد أن انتهيا من شرب القهوة سأله :

ـ تعرف المهندس مصطفي ربيع واللي صدر حكم أول أمس فى حق الجناة.

ـ استعاد اللواء حمدي رباط جأشه بعد جزعه من ذكر سيرة الفقيد حيث أخبره بأنه يعتبر مصطفي ربيع مثل ابنه محمد

وهو شاب متدين ويجيد عمله وصاهر النحلاوي باشا كما أن علاء ابن النحلاوي كان زوجا لابنتي صافيناز.

ـ تصور، من ساعة أتي إليّ شاب في الخامسة والثلاثين يدعي بأنه المهندس مصطفي ربيع طالباً الإفراج عن القتلة والذي حكم عليهم أول أمس، ضحك اللواء حمدى قائلاً :

ـ ده من ألاعيب المجرمين، يبعتوا واحد يمثل الحكاية دية علي النيابة وطبعا ما فيش حد معاه جواز سفر أو كرنيه نقابه علشان تعرفوا شخصيته.

ـ صحيح، لكنه قال أنه يعرفك وأنت تعرفه.

ـ عايز أشوف النصاب ده، ضغط النائب العام علي جرس إنذار مدير مكتبه، اقبل مدير المكتب فأمره بإحضار الشاب المُدعي، بعد قليل أقبل مصطفي علي المكتب ومجرد أن تقابلت عيون الرجلين حتي أقبل مصطفي علي اللواء حمديّ محتضنه مقبلاً يده كعادته يحدثه باسما ً:

ـ الشراقوة يحبوا البحاروه.

جلس اللواء حمدي صامتاً وظهرت الدموع بعينيه ثم أعاد النظر إلي مصطفي قائلاً، أنت مصطفي ربيع شكلاً واسماً لكن الجملة التي أخبرتني بها هي التي أكدت لي أنك مصطفي بكل

تأكيد، نظر إلي النائب العام مؤكداً بأن هذا الشاب هو مصطفي ربيع والذي اتهم الأشقياء الثلاثة بقتله.

شكره النائب العام، رغب اللواء حمدي في اصطحاب مصطفي معه لكن النائب العام أخبره بأنه سيظل متواجداً مع بعض معاونيه لأخذ أقواله وإعادة فتح ملف القضية من جديد.

قبل مغادرة المكتب أخبر اللواء حمدي المهندس مصطفي ربيع بأنه سوف يخصص سيارة بضابط تقله إلي منزله ليتناولا الطعام معاً وسماع قصته.

أنهي المحققون الذين عينهم النائب العام التحقيقات مع مصطفي ربيع وأرسلت الأوراق إلي اللواء حمدي السيد الذي وقع بأن هذا الشاب هو مصطفي ربيع الذي اتهم الأشقياء الثلاثة "وذكرت أسمائهم" بقتله وأنه مازال حيا يرزق، أصدر النائب العام قراراً بإعادة التحقيق في القضية لظهور أدلة جديدة سوف تغير من قرار المحكمة،

هكذا خرجت صحف اليوم التالي تتحدث عن وقف تنفيذ حكم الإعدام بحق المجرمين وإعادة الأحكام نظراً لظهور أدلة قد تغير من قرار المحكمة ولم يذكر شيئاً عن شخصية مصطفي حرصاً علي مصلحة التحقيق.

في شقة رائعة علي النيل بحي الزمالك وصلت سيارة الشرطة تقل مصطفي ربيع واستقبله اللواء حمدي وزوجته ثم حضرت ابنته صافيناز بناء علي طلب والدها ومجرد أن دخلت قاعة الاستقبال صرخت ووضعت يدها علي فمها وهي تهذى مصطفي وإلا شبيه؟ حادثها مصطفي، انا مصطفي يا صافيناز!!

جلست بعد أن صافحته عاتبة علي صديقتها شيرين بأنها لم تخبرها رغم أنهن كنا معاً مساء أول أمس، أخبرها مصطفي بأنه قام بزيارة العوامة وذكر ما حدث له مما أضحك الأسرة من تصرفه.

طلب منهم مصطفي بالا يخبروا زوجته وسوف يُمهد لهذا وليجعلها مفاجأة سارة، أشار إليه اللواء حمدي بأنها سوف تصبح مناسبة سارة لأن علاء أرسل إليّ بالعديد من الشخصيات لمحاولة إعادة صافيناز إلي عصمته لكنني كنت أقول لهم إذا استطاع أن يعيد مصطفي إلي الحياة فسوف أوافق وقد أعادك الله إلي الحياة وإلينا ولهذا سوف أوافق علي ان تعود صافيناز إلي زوجها مع أطفالها بعد أن َصلح حاله.

دُهش مصطفي ولم يكن يعلم بحادث الانفصال وحينما علم

السبب سالت دموعه تقديرا للحب والإخلاص النابع من حُسن التربية للزوجة صافيناز التي عاقبت زوجها علي سوء فعله معه بأن انفصلت عنه.

أمضي مصطفي سهرة سعيدة وخلال هذا تناولوا الطعام في نهاية السهرة اقلته سيارة الشرطة عائدة به إلي موقعه حيث طلب اللواء حمدي من الضابط المرافق له ذلك ليعلم عنوان إقامته.

عاد جابر أسعد حالاً، فقد ساهم في إنقاذ ثلاث رقاب من حبل المشنقة كما شاهد اللواء حمدي السيد الذي يذكره دائما بالمغفور له والد شيرين نظراً لصداقتهما وحبهما له منذ ارتباطه بشيرين.

أقبل علي أحبائه وشاهدوا الفرحة علي وجهه وسمعوا قلبه ينبض ضاحكا لعمل الخير الذي قام به في هذا اليوم.

بعد مُضي يومين علي إيقاف تنفيذ حكم الإعدام وإعادة المحاكمة شاهد مصطفي ورفاقه مجموعة من الرجال والنسوة قادمين إلي موقع معيشتهم علي ضفة النهر يتساءلون عن البيه مصطفي، أفاد من التقوا بهم بأن هذا الاسم غير موجود كما أن المكان ليس به أحد بهذا الاسم لكن روايح التي كانت متواجدة

وسمعت بالحديث أشارت لهم بإتباعها وهي ستقوم برد كل الاستفسارات التي أتي بها هؤلاء.

علمت منهم بأنهم قادمين لتقديم الشكر للمهندس مصطفي لما قام به في إنقاذ أرواح ذويهم من حبل المشنقة والتي لم تكن تعلم عنه شيئا، اصطحبتهم إلي موقع جلوس مصطفي الذي كان في حالة من التأمل مركزا نظره علي مياه النهر وسرح خياله في خيوطه الفضية اللانهائية، أشارت إليهم بأنه المقصود وقفت تراقبهم، شاهدتهم مندفعين إليه مقبلين يديه لما قام به من عمل كريم مع رجالهم رغم قسوتهم عليه.

جلس معهم محييا شاكرا إنسانيتهم وقدموا له كل تحية وتقدير، بعد جلسة طويلة زمنا وقصيرة في متعتها غادروا المكان بين بكاء السيدات لسعادتهن بأن أطفالهن لن يصبحوا أيتاما وسوف يفرج عن المتهمين بعد عدة أشهر فقد قاربت مدة الحكم التي سوف يحكم بها عليهم حيث أخبرهم المحامين بهذا وأنها أصبحت جنحة ضرب وليس جناية قتل وحكمها لا يتعدي السنوات الثلاث وقد قاربت المدة علي الانقضاء.

بعد أن غادر القوم المكان جلس مصطفي سعيداً بأن الله وفقه فيما قام به وأن الله سوف يجازيه بأحسن مما قام به

اليوم التالي مساءً كرر جابر المحاولة لزيارة شيرين وتسلل بهدوء إلي العوامة بعد أن خلد الجميع إلي نومهم، طرق باب حجرتها حيث كانت مستيقظة تطالع رواية الأيام للأديب الدكتور طه حسين، سمعت الطرق مرة ثانية فاعتقدت بأن الطارق هي الخادمة بهيجة فصرحت لها بالدخول، بعد ثوان قليلة سمعت صوت مصطفي يغني لها أغنية مريت علي بيت الحبايب، كادت تصرخ لكنه أسرع إليها وشاهدته فرقص قلبها فمنع صوت استغاثتها من الخروج وانحني علي سريرها وحملها علي ذراعيه وقبلها وراحت في إغماءة فجلس علي طرف السرير ومازالت محمولة علي ذراعية، همس في أذنها مذكرا إياها بأول لقاء يوم الحر الشديد وحصانها عطشان يشتهى الماء، حرك بأصبع يده شفاهها الرقيقة فأضاءت عيونها بنظرة ساحرة نحوه وانفرجت شفتاها باسمة وظهر صفي اللولي من أسنانها الجميلة انحني مقبلاً ثغرها.

في البداية لم تبادله قبلاته فتركته يقبلها وكانت تقبض عليه متشبثة به خوفا من ضياعه وفقده، شاهدت عينيه مسلطتين علي عيونها فمدت أصابعها وجذبته إليها فعاد مقبلاً وبادلته قبلاته بأكثر سخونة وحيوية.

بعد قليل شعرت بأن جسدها ذاب في جسده كأنها قطعة من السكر وضعت في الماء وبعد قليل امتزجا معاً ولا تستطيع أن تفصل واحداً عن الآخر، نهض ووضعها علي سريرها وأشارت إليه بغلق باب الحجرة، فعل ونفذ ما طلبته منه وأطفأ الإضاءة وظهر نور ضياء حبهما وهما يتبادلان الحب وعلاقتهما الزوجية بعد حرمان أربعة أعوام.

استيقظت شيرين قبيل الفجر فشاهدت رجلاً بسريرها شبه عار وهي الأخرى، كادت أن تصرخ لما حدث ولكن حياءها منعها من أن تفضح نفسها تماسكت وارتدت ملابسها وأيقظته متسائلة من تكون، نظر إليها بدهشة وهي أيضاً أصابتها الدهشة والذهول فأقبلت عليه محتضنة إياه ممتلئة بالرغبة فيه مقبلة سعيدة ثم عادت وأطفأت الإضاءة للمرة الثانية وتبادلا الحب والعشقّ وأضاءت شمس النهار بيوم جديد من أسعد أيام حياتهما.

نظرت إليه ونظر إليها، كانت غير مُصدقة بأن حبيبها ينام فى أحضانها تحتمي به وتشعر بخشونة جسده وكأنه زغب من الحرير يلامس جسدها، تنظر في عينيه تريد الإجابة علي سؤالٌ ما فيشير إليها بالصمت بعد أن وضع أصبعه علي فمها

بأنه لا داعي للأسئلة، غرق في الحب عوضا عن السنوات السابقة، تسمع صوت بهيجة بخارج الحجرة مستوضحة هل أعد طعام الإفطار؟ تجيبها بأن تعد الحمام أولا كما تخبرها بأن تعمل علي إضافة المزيد من الطعام لوجود ضيف هام معها عادت بهيجة تعرب لزوجها مغاورى "بأن علاء بيه جه أمبارح وإحنا في النوم مش شاعرين".

نهضت شيرين وفتحت دولاب ملابسها وأخرجت ملابس مصطفي من داخلية وخارجية وتوجهت به إلي الحمام ودخلت معه تقوم علي مساعدته لينال حماماً مثل بداية عهدهما بالزواج، غادر الحمام وبقيت هي لتحصل علي حمامها وعادت إليه سعيدة فرحة وطلبت من بهيجة بأن ترسل لها بابنها عمرو حضر الطفل وشاهد أمه جالسة بحجرتها وأمامها رجل جالس يرتدي جلبابا أبيض اللون ولم يشاهده من قبل، أشار إليه مصطفي كما سبق وأن أشار إليه حين كان علي هيئة الصياد أقبل عليه الطفل سعيداً، رفعه لأعلي مقبلاًمتسائلاً من أنا؟ لم يجب لكن شيرين أخبرته بأن هذا هو أبوك الذي كان مسافراً وعاد، إبتسم الطفل وأمسك بإصبع والده بقبضة يده ووقف بجوار كرسيه لا يفارقه أبدا.

توجه مصطفي برفقة ابنه عمرو إلي مائدة الطعام بينما توجهت شيرين إلي المطبخ تحادث بهيجة والتي صرخت ثم أطلقت العديد من الزغاريد التي تعني الفرح والسرور، أمضي مصطفي يومه حتي اقترب وقت العصر، رغب بان يفاتح شيرين في أمر أسرته الثانية لكنه تراجع رغبة منه فى أن يمهد لهذا على ألا يخبرها بشيئ خلال هذا الوقت القصير حتي لا يُعرضها للضغط العصبي.

مساءً أرتدي ملابسه مودعاً، وقفت أمامه مانعة خروجه لكنه طالبها بألا تفعل هذا ووعدها بأنه سوف يعودها كل عدة أيام حتي يُنهي متعلقاته ويستقر معها، مازالت واقفة معترضة طريقه بداخل الحجرة فأقبل عليها حانيا يلثمها بقبلاته التي أسكرتها وجعلتها تبيح المحظور.

غادر العوامة وقفز بخفة الهر إلي القارب متوجها جنوباً في اتجاه موقع موطنه علي شاطئ النيل، ظلت ترقبه وهو يجدف بالقارب حتي أختلط نظرها وأصبحت تشاهده كفقاقيع علي سطح النهر.

عادت إلي حجرتها باسمة ضاحكة تدندن ببعض الأغاني الجميلة طرباً فاقبل وليدها فحملته ومازالت ترقص وهو

يضحك سعيداً بأن أمه تلاعبه بلعبة جديدة لم يعتدها من قبل، ظلت شيرين علي سعادتها هذه انتظاراً لعودة مصطفى ما بين مصدقة ومكذبة ما حدث وتتسائل بداخلها :

هل كان هذا نوع من أحلام اليقظة أم أنه كان حقيقة مؤكدة واستعادت ما جري بينهما من علاقة حب فأكدت أنها حقيقة ثم هاجمتها الظنون وسألت بهيجة التي أخبرتها بصحة ما كان وما سمعته وشاهدته بأن مصطفي بيه عاد ثانية والحمد لله.

زوج الاثنتين

ابتعد جابر عن الناس وظل منكفئا علي نفسه يفكر في العثور علي حل يجعله محتفظا بزوجتيه، إن شيرين زوجته الأولي هي حبه الأول الذى أثمر الطفل عمرو بينما روايح زوجته الثانية والتي أحبته بعد أن أنقذه إخوتها من الموت غرقاً وفتحوا له باب بيتهم وأقبلت عليه تعطيه من حبها وحنانها بالإضافة إلي العناية والرعاية والطعام ثم أهدته ابنتها سعاد الرقيقة التي تتبعها مثل الجرو الصغير وتتحمل المعيشة الصعبة في القارب، تذكر الآية القرآنية من سورة الرحمن:
هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) صدق الله العظيم.

عاد برأسه إلي الخلف مستندا بها علي جذع الشجرة مقررا بأنه سوف يظل متمسكاً بالزوجتين، لم تكن أمامه أي مشكلة من جهة روايح، فهو يعلم بأنها سيدة بسيطة ولن يؤثر فيها علمها بزواجه من أخري بل هى تعلم هذا منذ اللقاء الأول خاصة أن شيرين قد سبقتها بالزواج منه، لكن المشكلة تكمن في شيرين ابنة الباشا والتي سوف تشعر بأنه لم يكن زوجا وفياً مخلصاً لها مثلما اخلصت هى له، فقد علمت بوفاته وهي شابة

صغيرة لم تكمل وقتها الخامسة والعشرين عاماً من عمرها.

بدأ بالأيسر تعاملاً فأقترب من روايح وجالسها بصفاء وود كما كان يحدث بينهما علي ضفة النيل الساحر والتي كانت تلهب المشاعر والأحاسيس النبيلة لكليهما، تحدث معها قائلاً : روايح، تعلمين بأنني أصبت في مشاجرة وأعقب هذا إلقائي فى مياه النهر، حركت رأسها فهذا حديث قديم، عاود حديثه :

السبب فيما حدث هو زواجي من فتاة جميلة ومن أسرة ثرية وسبق أن أوضحت لك هذا ورغب شقيقها بعد وفاة والدها بأن ننفصل ونبتعد عن بعضنا البعض حيث أنني في نظره أقل منهم شأنا ومالاً ورفضت هذا فنحن نحب بعضنا البعض ولدينا طفل لم يبلغ عامه الأول حينذاك.

حدث تراشق بالحديث وزاد وتوتر الموقف فحاول الاعتداء علي شخصي فدافعت عن نفسي فأقبل أعوانه وأوسعونى ضربا بعد أن أسمعوني أقبح السباب واستمروا فى الضرب المؤلم ثم حملوني وألقوا بى في النهر وأنقذني أشقاؤك وتقابلت معك وشعرت بحبي لك وتزوجنا وأنجبنا سعاد.

منذ عدة أيام عثرت علي زوجتي وطفلي وأمس قمت بزيارتهما وعاد الحب والوئام بيننا راغبين في التئام جرحنا

السابق وأنا راغبٌ بالاحتفاظ بك وأريد رأيك في هذا؟ فلك كل الخيارات وسوف أنفذ ما تقولين وبقليل من الهدوء فكري ولا تتعجلي ردة الفعل والانفعال التي تحدث للسيدات حين علمهن بزواج الزوج من أخري.

ساد الصمت عليهما وشاهد الدموع تجري في عينيها وأقبلت عليه ونامت علي صدره باكية بصوت مرتفع، حاول تهدئتها لكنها مازالت مستمرة وأمسكت بجلبابه بقوة ونظرت إليه باسمة ووضعت يديها حول خصره وضمته بقوة تحادثه.

أنت لم تخطيء وهذا شرع الله وانا لم أبكِ لأنك كنت متزوجاً ولكني كنت أبكي سوء تعامل الأغنياء لمن هم أقل منهم جاهاً ومالاً، نحن الفقراء ليس لنا ثمن ولهذا فهم يتعاملون معنا كأننا من الدواب ولا يقيمون لمشاعرنا أي وزن أو حساب، ها أنت قد شاهدت وجربت ماذا حدث لك معهم أرجوك ألا تفعل معي مثل ما فعلوا بك فأنا فقيرة ويتيمة وأعمل مثل الخدم في منزل الأسرة، نحن خُلقنا للعمل والعذاب ولم نُخلق للتمتع والراحة مثلهم.

قف بجانبي لأنك لو تركتني سوف يسوء حالي وحال طفلتي وسأظل الخادمة المطيعة لك ويمكنك إنكار أنني زوجتك

وإنك استقدمتني كخادمة لزوجتك الأولي ولا تقربني حتي لا تغضب مني وتلقي بى وبابنتي فى الشارع، جابر أنا الخادمة لكما وحينما تكبر سعاد تصبح الخادمة لأبنك من تلك السيدة فأنا أعلم حالي ومستواي ولن أقامر بمصلحة أبنتي.

بكي جابر بجوارها من صدق حديثها المؤلم، فهو يعلم أنهم قوم فقراء يعيشون علي الكفاف منتظرين رزقهم من النهر الذي يجود به في أيام وأيام أخري يضن عليهم بلقمة خبز جافة هدهد علي خدها الناعم الرقيق الذي لفحته أشعة الشمس مؤكداً لها بأنه لن يتركها حتي لو خيرته زوجته الأولي بذلك فهناك العز والجاه تستطيع أن تحتمي به أما أنتِ فحالك من حالي.

نظرت إليه باسمة ودموعها مازالت تفيض من عيونها كشلال تحدثت قائلة : لا تفعل هذا .. فأنا منذ تلك اللحظة خادمة لك يا سيدي جابر!! أصاب جابر الضيق وأنحني علي يدها مقبلاً حاولت سحبها مستغفرة الله، ركز نظره عليها محدداً كلماته :

هذه هي المرة الأولي والأخيرة بأن تتحدثي معى بهذا الأسلوب أرجو أن تعلمي بأنك زوجتي وحبيبتي وأم ابنتي، ساد الصمت ومضي بعض الوقت وهدأت النفوس والتصقت

الأجساد بعد أن سبقتها الأرواح الطيبة التصاقا وحبا عميقا.

اليوم التالي أخبر "الشيخ مُسعد" رب الأسرة الأولي جابر بأنه لم يتبق أمامهم سوي أيام ثلاثة يغادرون بعدها المكان متجهين لعزبة سليم بناء على الاتفاق السابق مع ابن الأميرالاي عزت وسوف يفتقدونهم وسوف يأتون لزيارتهم في تلك البقعة خاصة أن أسرة " الشيخ سَلمان" سوف تظل معكم.

بعد أن غادرت أسرة الشيخ مُسعد المنطقة متجهة إلي مغاغة قام جابر بزيارة شيرين، فقد أقبل الصيف شديد الحرارة من شهر مايو لهذا العام وبدا واضحاً حالة الانكسار التي صاحبت روايح وهي تعدو خلف جابر محاولة إرضاءه وتنفيذ رغباته وضايقه هذا الهوان الذي صاحبها وحذرها من هذا مراراً لكنها كانت تشعر بخوف مُقبل علي حياتها وحياة ابنتها ولهذا رغبت بأن تعطيه من صحتها وسعادتها حتي تظل تحت جناحه مستكينة ذليلة كي يرضي عنها.

أقبل جابر بقاربه إلي العوامة فشاهد شيرين جالسة مع ابنها عمرو ومجرد أن شاهدته أقبلت علي سور العوامة ملوحة له وبادلها التلويح وربط القارب وصعد مرتديا ملابس الصيادين وتعانقاً حبأوسعادة ثم حمل ابنه الذي ردد اسمه ولقبه "بابا"

والذي لم يسمعها مصطفي منذ زواجه حيث كان الطفل مازال صغيراً لا يستطيع التحدث ولو بكلمة كما أن ابنته سعاد هي الأخرى لا تستطيع نطق تلك الكلمة لصغر عمرها.

أتت بهيجة بالمشروبات المثلجة لهما وطلبت منها شيرين اصطحاب عمرو معها بناء علي رغبة مصطفي، طلب مصطفي من شيرين التوجه لحجرتها فابتسمت وأخبرته بأن يؤجل هذا إلي الليل، أوضح لها بأنه يرغب بأن يتحدثا في موضوع يخصه، نهضت وتبعها مصطفي وأغلق عليهما باب الحجرة وسلط شعاع عينيه في عينها فأسكرتها لبعض الوقت فارتمت علي صدره فهدهد علي ظهرها ثم أعادها إلي وضعها وحادثها بكلمات قليلة مُعبرة عما حدث له منذ إلقائه بالنيل.

كانت شيرين تستمع لحديثه وهي في حالة من التوتر ثم ظهرت بعض الدموع بعينيها، كانت تقاوم البكاء بكل إباء وشمم، انتهي من حديثه معها فسألته لماذا اندفع وتسرع بهذا الزواج الغير متكافئ؟ لم يجبها فقد أخبرها بكل شيء.

حادثته حديث الأنثى الذكية المثقفة المتعلمة : مصطفي سأظل زوجتك علي الورق حفاظاً علي حياة ابننا ولا علاقة زوجية بيننا منذ اليوم وأنا مثل الفريك لا أقبل بشريك في

زوجي، نظر إليها وهاجمه الضيق والغضب طالباً منها التروي وألا تندفع في قرارها لكنها سبقته إلي باب الحجرة وطلبت منه بكل هدوء مغادرة العوامة وإذا رغب في لقاء ابنه فعليه التوجه إلي عزبة النحلاوي بالفيوم لمشاهدته ولن تحرمه من هذا الحق فقد أخبرها شقيقها أمس بأنه أعد لها كل شيء ولتعد لتحيا بينهم خاصة بعد عودة صافيناز إلي عصمته.

شعر مصطفي بأن شيرين قد تضطر إلي طرده وكرامته لن تسمح بهذا، تركها دون وداع وقفز إلي قاربه متجها جنوبا إلي منطقته، شاهدها تقف بالعوامة ودموعها منهمرة وبجوارها الدادة أم حافظ تطيب من خاطرها.

شعر جابر بأنه هُزم في تلك الموقعه وخالجه شعور بالذل مثل ما شعرت به روايح منذ عدة أيام مضت، كما شعر بأنه أقل شأنا من زوجته شيرين ومازال واقعاً في حبها وتساءل ماذا تبغي من حديثها بأنها مثل الفريك ولا تقبل بشريك لها في زوجها؟ هل ترغب في أن أطلقها وماذا تريد، وإذا ظلت بدون زواج فما هي قيمة الحياة؟

دخلت شيرين حجرتها بائسة حزينة، فبعد عثورها علي حبيب قلبها وزوجها ووالد ابنها وبعد أن ذاقت حلاوة اللقاء به

منذ أسبوع تفاجئ بأنه متزوج وأصبح فكر وعقل وجسد هذا الرجل تشاركه فيها زوجه أخرى لا مجال للمقارنة بينهما.

تتحدث بصوت مرتفع .. رغم عروض الزواج التي انهالت عليّ إلا أنني رفضتها جميعا حابسة نفسي لأبني ولذكري الزوج الغالي الذي ضحي بحياته من أجلي.

أقبل عمرو متسائلاً أين والده فأخبرته وعيونها تغطيها الدموع بأنه غادر العوامة إلي عمله، بعد قليل شاهدته يلعب بأوراق وبقايا كراسة فأمسكت بها فإذ هي مذكرات والدها التي أتي بها شقيقها علاء منذ شهر ونسيت قراءتها ووضعتها في المكتبة لكن الصغير عثر عليها وقطع منها بعض الأوراق للعب بها، أصابها الضيق من هذا التصرف، فتلك الأوراق من رائحة الحبيب الغالي والدها، أخذتها منه برفق فقد شاهدت أثر دموع تكاد تسقط من عينيه الصغيرتين، طيبت من خاطرة وطلبت من بهيجة أن تأخذه معها وتعطيه بعض الحلوي.

بدأت فى إعادة ترتيب الأوراق وأتت بورق لاصق وقامت علي إعادة الأوراق إلي حالتها الأولي، شعرت بعد هذا براحة شديدة، قررت أن تقوم علي قراءة تلك المذكرات من الغد بعد أن أصابها الحزن لإهمالها هذا الأمر وشعرت بتأنيب الضمير.

منتصف الليل نهضت من نومها تنتفض ضيقاً وتوتراً لما صبه مصطفي في أذنها، قررت من باكر أن تلتقي بصديقتها صافيناز وتخبرها بما حدث علي ألا تخبر شقيقها علاء بهذا.

صباح اليوم التالي استقلت سيارتها يرافقها ابنها عمرو والدادة واتجهوا إلي عزبة النحلاوي بالفيوم، مجرد وصولها استقبلها العاملون بالترحاب وعلي رأسهم ناظر العزبة عم بيومي.

في قصر شقيقها علاء وبعد تناول طعام الغداء ورعاية الدادة لأطفال السيدتين انتحت شيرين بصديقتها صافيناز بعيداً عن الأعين والآذان وأخبرتها بزيارة الأمس، ظهرت الدهشة علي وجه الصديقة وشعرت بأن الوضع أصبح صعباًعليهم جميعاً سواء شيرين أو الزوجة الثانية أو مصطفي وما هو فاعل فيما أقدم عليه منذ عامين أو يزيد؟

لم تتوصل السيدتان للحل الأمثل، لكن صافيناز حذرت شيرين بأن الضغط عليه بتلك الكيفية سوف يبعده عنك وعن ابنك ولهذا فيجب عليك الحذر ومراجعة نفسك وما المانع بأن يتزوج الرجل زوجة ثانية؟ فهذا حق كفله الله له وكل ما تم وجري حتي الآن ناتج من تصرف علاء السيئ ولم يجد الرجل أحداً يحنو عليه سوي الصيادين وعاش معهم وتزوج منهم.

خلدت شيرين بحجرتها ومازالت غير راغبة في استمرار الحياة مع زوجها مصطفي، كانت تنظر من حين لآخر لطفلها وتحدث نفسها بأن هذا الطفل سوف ينشأ محروما من حب والده وحينما ينمو وينخرط في مرحلة الشباب سوف يشعر برغبة في لقائه ويسير علي نهجه ويتعلم منه كل شيء وشاهدت الكثير من الأبناء في تلك الحقبة حتي شقيقها علاء كان يتبع والده في كل حركاته محاولا تقليد تصرفاته.

لم تستطع النوم وتنبهت لمذكرات والدها التي كادت أن تفقدها بيد طفلها، نهضت من جلستها واتجهت إلي حيث تحتفظ بتلك المذكرات وجلست تقطع أوراقها قراءة وفهما، انتهت منها قبيل فجر هذا اليوم واعتراها شعور بالراحة سواء لأنها قرأت سيرة الأب الحبيب أو لأنها شعرت برسالة مرسلة منه لها ولشقيقها حيث أخبرها علاء يوم أن قام بزيارتها وسلم لها تلك المذكرات بأن عليها قراءتها لأنها هامة وسوف تفيدها في حياتها كما أفادته هو أيضاً.

صباح اليوم التالي شعرت بحنين إلي مصطفي وأفضت بهذا الشعور إلي صافيناز التي شعرت بسعادة غامرة وحاولت أن تدفعها إلي لقاءه لكنها كانت رافضة حتي يُقبل عليها مقدما

اعتذاره وحينئذ سوف تسامحه وتوافق علي أن يقوم بزيارة زوجته كل أسبوع يومين أو ثلاث حتي يعدل بينهما كما أمرنا الله عز وجل، وعلقت بأن نصف زوج أفضل من لا شيء!!

طلبت صافيناز من والدها بأن يرسل إلي مصطفي للقائها في منزله بالزمالك نهاية الأسبوع حين التوجه لزيارة أسرتها وقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم كما اعتادت منذ عودتها إلي عصمة زوجها علاء، أقبل مصطفي للقاء صافيناز وأخبرته بكل ما دار بينها وبين شيرين وطلبت منه أن يعيد اللقاء الذي تم بينهما أول مرة حتي تشعل فتيل الحب بينكما، إبتسم لها ورتبا كل شيء معاً، حددت له الوقت أما المكان فكان معروفا أسفل شجرة التوت المجاورة لماكينة رفع المياه بالحوض الأوسط للعزبة.

في اليوم الموعود طلبت صافيناز من شيرين أن تلحق بها ممتطية حصانها "شهاب" عند ماكينة المياه بالحوض الأوسط وسوف تسبقها للقاء بعض السيدات بالعزبة وتجلسان أسفل الشجرة تتحدثان وتتمتعان ببعض الوقت بين الزراعات.

وافقتها الرأي، في الموعد توجهت شيرين إلي المكان وتركت ظهر الحصان متجهة للقاء صديقتها أسفل الشجرة؛

تسمرت ووقفت مشدوهة وكاد أن يُصيبها الإعياء والإغماء فقد شاهدت مصطفي جالساً أرضاً مادا ساقيه ممسكاً بعود من الحطب يخطط به علي أرضية المكان، اقتربت منه وسألته :

ـ أنت بتشتغل هنا؟ إبتسم لها

ـ ايوه ، انا المهندس المسئول عن العزبة.

ـ وقاعد كده ليه؟ مش خايف أن الباشا يشوفك؟ نظر إليها قائلاً:

ـ يا ريت أشوف الباشا وأشتكيله حالي من بنته الحلوة الجميلة اللي بتعاكسني.

ـ أنت باين عليك شقي؟

ـ يا ريت مكنش بقي ده حالي، دا أنا طيب وابن حلال

ـ أنت عارف بتكلم مين؟

ـ ح أكون بكلم ست الحسن؟ أكيد واحده صاحبة بنت الباشا اللي مش شفتها لحد دلوقتي.

نهض طالباً منها الجلوس بعيداً عن أشعة الشمس المباشرة وأمسك بدلو معه، تساءلت إلي أين؟ فأجابها بأن الحصان راغبٌ في الشراب، عاد بعد قليل ووضع الماء أمام الحصان فنظرت إليه نظرة حانية متسائلة:

ـ أنت بتعرف في لغة الخيل؟

- أيوه والغزال كمان

- بس ما فيش هنا غزال

- فبه غزاله حلوه جميله وحارنه عليْ ومش عارف أعمل إيه؟

- أنا اللي ح أقول لك تعمل إيه؟

- ايوه صحيح، اقترب منها وحملها بين يديه مقبلا لها وبادلته قبلاته وتبادلا كلمات الإعجاب وسار معاً وأمسك بحبل الحصان واتجها إلي الفيلا فتقابلا مع علاء الذي أقبل مسرعاً مرحباًمحتضناً زوج شقيقته معتذراً عن كل ما صدر منه.

في داخل الفيلا وبعد أن تبادلا كؤوس الحب والعلاقة بينهما اعتذرت له وأوضحت له بأنها ستوافق علي استمرار زواجه من الزوجة الثانية وعليه أن يقوم علي زيارتها ثلاثة أيام أسعده هذا وقفز سعيداً وحملها بين يديه مقبلا وجهها ويديها وقفزت الدموع من عيونهما لعودتهما مرة ثانية لحياتهما ولعدم ظلم روايح هذه الإنسانة الطيبة التي أحبت جابراً وأعطته كل حياتها وإخلاصها وهي راغبة بان تستمر معه ولو خادمة لهما وحين علمت شيرين بقولها هذا زرفت الدموع الغزيرة علي البسطاء من المصريين القانعين الراضخين لقوة وقسوة الأغنياء حتي بالتخلي والتنازل عما هو حق شرعي ومكتسب

وأخبرته بمذكرات والدها التي فتحت عيونها علي الكثير من القيم والمبادئ وجعلتها تعيد النظر في مستقبل حياتهما.

هكذا أراد الله بأن يُصبح مُصطفي مهندساً وزوجاً لشيرين النحلاوي ثلاثة أيام بالفيلا والعزبة والثلاثة الأيام الأخرى يُصبح الريس جابر الصياد زوج روايح الفقيرة ثلاثة أيام علي سطح قارب صغير بالنيل يعمل ويحيا مع البسطاء من المصريين يستنشق مودتهم وحبهم ورضاهم بما قسمه الله لهم من رزق وحياة تسير سيرأطبيعيا كسير مياه النهر الخالد بأمر الله القادر الخالق واليوم السابع هو مكافأته لأطفاله يصطحبهما للنزهة معاً يلعبان ويمرحان بجوار الأب الحامي المحب لهما.

هكذا جمع الحب والزواج بين الفقير والغني وصاحب الجاه والسلطة والمسكين الفقير الذي لا يملك من حطام الدنيا شيئا وهكذا وضع الله قانونه بالأرض، إنه قانون المواريث بنقل ثروة هذا لذاك وثروة الغني إلي الفقير حتي يَبسط العدل بين الناس فهو صاحب الجاه والمال وقد خلقنا يوم مولدنا حفاة عراه ونلقاه يوم وفاتنا بنفس الكيفية لا مال ولا جاه وسبحان من له الدوام.

تمت بحمد الله

ملاحظة:

تلك الرواية حصلت على جزء منها من خربوش شقيق روايح زوجة مصطفى ربيع، فقد جمع بينى وبينه لقاء أحد الأيام نهاية عام ١٩٩٠ وكنت وقتها قد غادرت مستشفى المعادى للقوات المسلحة بعد الحصول على الأدوية المخصصة لى والتى أحصل عليها بإستمرار منذ إصابتى فى حرب عام ١٩٧٣.

بعد خروجى من المستشفى عبرت للجانب الآخر من الطريق وجلست على حافة النهر فشاهدت رجلا تخطى السبعين من عمره يجلس بقارب صيد صغير يقترب من الشاطئ وبعد أن ربط القارب بجزع شجرة تحرك صعوداً إلى أن إقترب منى وجلس يدخن سيجارة وتحدث معى وبدا الحديث العام ينتقل إلى عمله وحياته بل وطلب منى زيارته بجزيرة الدهب.

بالفعل توجهت له يوم الجمعة التالى حسب الموعد وإلتقينا وقمنا بأداء الصلاة بالمسجد الصغير بالقرية ثم غادرنا المسجد وجلسنا معا وأقبلت سيدة جميلة متقدمة فى العمر وعرفنى عليها ثم أخبرنى بقصة حياتها وتبين لى أنها روايح التى تحدثت عنها، ظللت بضيافتهم لبعد آذان العشاء وحصلت من روايح على كل ما كتبت ولهذا فتلك الرواية واقعية بأحداثها وموقعها.

من مؤلفات الكاتب:

* الناس والحـــــرب .. الطبعة الثانية مـــــايو ٢٠٠٩
* رسالة إلى الرئيس .. الطبعة الثانية يونيـــو ٢٠١٠
* مصر التـــــــــي .. الطبعة الرابعة يوليـــو ٢٠١٣
* نُص نقـــــــــل .. الطبعة الثانية يولـــيو ٢٠٠٩
* مُسافرٌ زاده الخيال... الطبعة الثانية سـبتمبر ٢٠١٢
* حُورية بين النخيل .. الطبعة الثانية سبتمبر ٢٠١٢
* الحب والحرمـــان
* رحلة الألف يوم
* همســـات مصرية
* نور العيون
* صوت المـــــلاك
* نسمة على النيل
* بنت الباشا .. الطبعة الثانية يوليو ٢٠١٦
* بُثينـــه
* الرصاصة الأخيرة
* عابد المصـــــرى
* لقاء في الطـــائرة
* العصـفور وأنا
* رجاله ورق للبيـــع .. ملهـــــاة
* فـــهد اللـــيل
* أيام من عمري

رقـم الإيداع بدار الكتب والوثائق الرسمية
٢٠٠٩/١٠٧٥٧